اعترافات أنثى بريئة

مجموعة قصصية

علي حـــزيـــن

الطبـعـــة الأولـــــــى

2021م ـ 1442هـ

ديـــــــــوان العـــــرب

للنشر و التـــوزيـــــع

2021

عنـــوان الكتاب: اعترافات أنثى بريئة

اســـم المـؤلف: علي حزين

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقم الإيـــداع: 2796 / 2021

الترقيـم الدولي: 2 - 83 - 6749 - 977 – 978

تـصـميـم الغلاف: محمد وجيـــه

التنسيق الداخلي: محمد وجيـــه

رقـــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

اعترافات أنثى بريئة

مجموعة قصصية

علي حـــزيـــن

2021

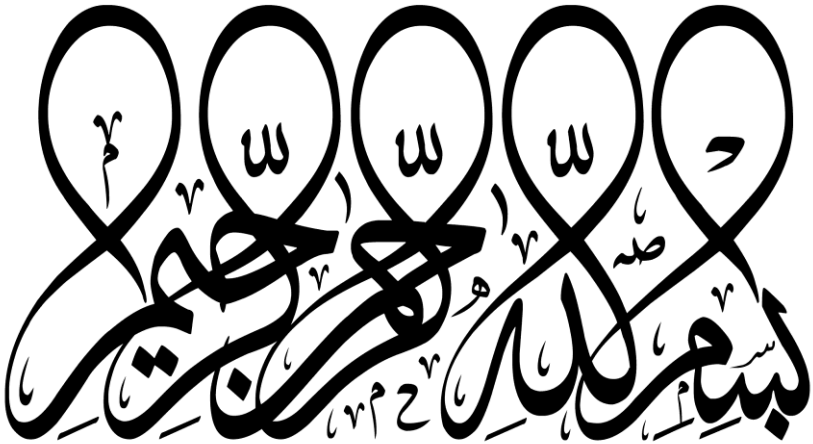
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى ابني الحبيب يحي

سميتك يحي لتحيا فلم يغني عنك من أمر الله شيئاً

سأذكرك ما حييت ولن أنساك... وعزائي الوحيد بأننا

سوف نلتقي يوماً ما.. اللّٰهُمَّ اجعله شفيعاً لي، ولا تحرمني أجره..
اللّٰهُمَّ ارضَ عنا واغفر لنا.....

فمهما طال الليل لابد من طلوع الفجر

ومهما طال العمر لابد من دخول القبر

علي حــزين

****

قصة قصيرة ...

ذات مساء

قالت لي أمي.. ذات مساء.. يوم ميلادك.. هطل المطر.. غزيراً.. وانطفأت الأنوار.. واشتد البرد.. وانبعث الدفء من جوف البيوت.. ودخان الحطب.. وعلا صياح الديكة.. تصاعد في جو السماء.. وكانت تلك الليلة، ليلة عيد..

****

قصة قصيرة ...

قـناع

قبل أن يجلس ليستريح، وقف أمام المرآة فرأى وجهاً قبيحاً أنكرهُ، وبصق عليه، وتلك عادته كلما عاد من الخارج ...

قصة قصيرة ...

امرأة ما .....

رأيتها على الشط في مكانٍ نائيٍ.. جلست تحدث العرافة.. جسدُها شبه عارٍ أحرقتهُ أشعة الشمس ، وملوحة الماء.. وحر الانتظار.. وأكلته العيون المتلصصة ، قالت لها :

ــ إلقي بياضك يا شابه.. ووشوشي الودع ...

ــ .....

وحين اختبأ قرص الشمس في قلب البحر.. إنتبهتْ.. نهضتْ جمعتْ أشياءها المتناثرة في حقيبتها السوداء.. وما جمعته من محار البحر.. ثم قامتْ، وانصرفتْ.. تدندن بأغنية للبحر وهوى المصايف.. وهي تمشي برشاقة وخفة، وشعرها الذهبي المتلبد بالماء، يتطاير في فوضى خلاقة.. وموج البحر يجري خلفها، وقلبي يستحثها أن لا تغادر.. فرجع موج البحر آسفاً وهو حزين، وقلبي لم يرجع بعد ...

قصة قصيرة ...

حدث معي

وأنا أقوم بترتيب وتنظيف إحدى الغُرف، وذلك بعدما كنت قد وضعتُ فيها الأشياء الغير مستخدمة والأشياء المهملة والغير مهمة ، وجدتُ شنطة سوداء منتفخة.. دفعني حب الفضول أن أعرف ما بداخلها فوجدتُ مجموعة " شرطان كاسيت" منها ما هو صالح للاستخدام، ومنها ما هو غير صالح ((مقطوع)) وكل شريط في علبته.. وبينما أنا أقلب فيها بين يدي بأهتمام، لأعيد اكتشافها من جديد، وأقوم بإزاحة التراب عنها، إذا بإبني الصغير لمح وجهي وهو مبتسم ، وأنا أقلب في تلك الأشرطة القديمة ... فسألني : ..

ـــ إيه ده يا بابا.. ؟!!..

فقلت له : وأنا مازلت مبتسماً..

ـــ هذه شرطان كاسيت قديمة..

ورحت أشرح له كيف كانت تعمل ، وكيف كان يسجل عليها.. وكيف كانت مهمة جداً.. وكيف.. وكيف.. ومدى أهميتها بالنسبة لي.. وبأنها تمثل لي الماضي الجميل...

وفي اليوم الثاني، وجدته أخرج شريطاً كان عزيزاً عليَّ.. قطعه وقام بربط طرفه في باب البيتُ.. وراح يَكُرَّه.. ولما بحثتُ عنه كان قد انتهى من مهمته.. وأنا واقف أنظر إليه.. مبتسماً.. ولا أدري ماذا أفعل معه ..

****

قصة قصيرة ...

المهرج

وقف المهرجُ.. وجهٌ نظيفٌ.. ثيابٌ جديدة.. حذاءٌ لامع.. رائحةٌ طيبة.. فظن الناس أنها لعبةٌ جديدة، فراحوا يصفقون يَضحكون.. يتغامزون.. بينما وقف المهرج.. يجهش بالبكاء

قصة قصيرة ...

إغـراء

بالأمس حين فكرتُ أن أكتب قصة قصيرة تزاحمت الأفكار في رأسي ، حكايات من الزمن العتيق ، مواقف كثيرة لا تُنسى.. وفجأة حضرتْ كل امرأةٍ عرفتها منذ كنت طفلاً صغيراً ، مروراً بالصبا انتهاءً بالكبر ونسيت في زحمة الحياة بأن أكتب عنهنّ فأخذنَّ يلُومنني ، ويعاتونني ، وربما ساومتني إحداهنّ ، أو وأغرتني أخرى، وأنا مطرق السمع لكل واحدة منهنّ على حِدة مستمتعاً بذكرياتي معهنّ ــ برهة من الزمن ــ استرخيت فيها على سريري ريثما يفرغنَّ من ثرثرتهنّ.. وعتابهنّ.. و.. و...

وعندما جاء الصباح بحثت عما كتبته بالأمس فلم أجد شيئاً مكتوباً ، فقد اكتشفت أن النعاس قد سرق عيني على حين غفلة مني.. فتركت الورقة بيضاء بجوار القلم الذي لم يفتح فمه ولو بشطر كلمة.. ليفصح عمَّا حدث معي بالأمس، ...

2017 / 9 / 21

قصة قصيرة ...

رغبةٌ جامحة

كان لديه رغبة ملحة.. للتحدث معها.. دخل غرفة الدردشة..

ـــ ممكن ندردش معاً .....؟

ـــ أفندم.. يلزم أي خدمة

ـــ أريد أن أتكلم معكِ..

ـــ وبعد الكلام ...؟

ـ هذا سؤال .... ؟.. ولا إجابة.. ؟ !

ـ اختصر في الحديث.. لأني لا أدردش مع أحد بالنت

ـ وهل بدأ الحديث أصلاً ....!

ـ أنا أصلاً ما بردش على أحد إلا للضرورة ... ؟

ـ أنا آسف.. سلام...!

ـ سلام..!

****

قصة قصيرة ...

اللقاء الأخير

مازلت متردداً.. والضيق ملازمني.. والظنون تطاردني.. ولكن ثم شيئاً ما أخرجني من قوقعتي.. وأنا لا أدري من أين ، أو إلى أين أمضي.. شريد الخطى.. أتوكأ على جدار الأمل المائل.. أحاول أن أزرع ابتسامة بين طرقات وجهي.. ولكن الشمس بخرتها.. عبثاً حاولت أن أرسم أخرى مكانها.. ولكني فشلت.. ولم أستطع أسعفتني.. الذاكرة المختلة.. تذكرت أني لم أرَها منذ أيام.. لا أدري ما عددها.. وهي تهبط من سلم القطار.. مع زميلاتها وعندما تشاهدني.. تومئ برأسها.. وعلى شفتيها باقة ورد.. تذهب بعيداً عن عيون الناس ، وأنا خلفها.. ولكن الانتظار قد طال.. والقطارات القادمة بضجيجها.. لم تحمل ليّ.. ما أتمناه وكنتُ أتصفح الأرصفة العارية.. صفعتني الحقيقة.. فعدتُ إلى المنزل أجر أذيال الخيبة بعدما تذكرت أن هذا اليوم.. هو أول أيام إجازة.. نصف العام الدراسي ....

قصة قصيرة ...

المرآة

في هذا الصباح استيقظت مبكراً كالعادة.. شربت فنجان الشاي.. أشعلت سيجارة شعرت ببرد شديد تسرب بين مسام جسدي.. نظرت في المرآة المتسخة للحظة ـ فأنا منذ فترة.. لم أنظر في المرأة.. تفقدت وجهي فاكتشفتُ شيئاً غريباً.. أخاديد صغيرة.. غائرة.. ملأت وجهي.. ونتوءات ظهرت فجاءة.. مسحت بكلية يدي عيناي المرهقة.. أتذكر.. ما سأقوم به اليوم لكن فشلت.. وذاكرتي الضعيفة خانتني فوبختها.. حاولت مرة أخرى..لأني ومنذ فترة ليست بالقصيرة لم أقم بتنظيف ذاكرتي.. ولم أتعهدها كما أتعهد حذائي كل يوم.. زرعت ابتسامة ضخمة.. نظرت إلى ساعة الحائط كانت تشير إلى الثامنة صباحاً بحثت عن حذائي..كورت ريقي في فمي قذفته بشدة في وجهي.. مسحت المرآة بطرف ردائي.. ثم أخذت أتحسس النتوءات والأخاديد التي علت وجهي.. وأنا أرتشف فنجان الشاي..بصقت مرة أخرى..مسحت حذائي.. ثم نهضت..

دورت حول نفسي دورات سريعة متتالية.. أتلفت يميناً ويساراً.. وقبل أن أخرج من البيت.. ارتديت ذاكرتي.. أدرت فيها بعض الأفكار الهامة.. ثم ألقيت بنفسي.. في نهر الشارع .....

****

قصة قصيرة ...

حب أعرج

أحببتها من كل قلبي خمسة عشر عاماً.. كنت أظنها تبادلني نفس المشاعر، والأحاسيس.. تقابلنا كثيراً.. وتحاورنا كثيراً.. واتفقنا كثيراً.. واختلفنا كثيراً.. ولكن دون أن يفصح كلانا للآخر.. فقط كنت أرى في عينيها.. شيء ما يناديني.. شيء يشبه السحر.. يشبه الحب.. وحين تجرأت.. وانحلت عقدة لساني.. وقبل أن انطق بها ، طلبت مني أن أتوقف.. ولا أكمل.. وإلا ستتخذ مني موقفاً..؟!!...

قصة قصيرة ...

ثلاثون عاماً خلت

لو أن الزمان يعود.. وتعود الحياة للوراء.. وعقارب الزمن تتقهقر.. لتعود الأرض كما كانت واسعة.. ترتدى ثوبها السندس الأخضر القشيب.. والمدي الفسيح ينحني يوشوش النخيل.. والزهور الملونة تهتز على الأغصان ، والعصافير تتراقص في الفضاء البعيد.. والقمر يرتل أنشودة الخلود.. والنسيم العليل يُقبل وجه الياسمين.. وقطرات الندى تبلل الأشياء.. حينها تصبح الحياة حلوة.. والسعادة تملأ جنبات هذا الكون

....

لو أن الزمان يعود.. وأعود طفلاً بريء.. نشيطاً ..أستيقظ قبل الشمس البيضاء.. أقفز من مخدعي..أسبقها بقدمي الصغيرتين الحافيتين.. أجلس متكوراً أنتظرها.. منكمشاً في نفسي.. تحت الحائط اللبن أمام البيت.. يصفعني البرد.. أنتفض كقط صغير..

تدهسه عيون المارة.. أجمع يديّ أنفخ فيهما ، أفركهما.. ثم أدسهما تحت جناحي، ألصقهما في جسدي الدافئ تحت ثيابي وأسناني تصطك ببعضها، وبخار الأبيض يتصاعد من فوق الربيع الأخضر.. وفمي قد صار مدخنة.. وأنا أنتفض في سعادة غامرة.. وأمي تزعق عليّ تناديني في إشفاقٍ وغضب حتى أذهب إلى المدرسة....

....

لو أن الزمان يعود.. ليعود اللهو، واللعب.. ورفاقي بعدما تفرقوا عني منغمسين في هموم الحياة ، ومشاغلها التي لا تنتهي إلا بانتهاء العالم.. لنجري، ونلعب ، ونقفز في الترعة الصغيرة.. ثم نخرج لنتسابق من جديد، ونلعب بالكرة ... والشمس التي أنتظرها كل صباح.. تختبئ خلف السحب البيضاء.. لتطل علينا من حين لآخر تلعب معنا ونحن لا نكل ولا نمل ، ولا نتعب ، ولا نعبأ بشيء إلا اللهو ، واللعب حتى المساء.. وننسى الجوع الذي يفترس بطوننا الصغيرة ونحن لا نشعر إلا بالسعادة والمرح ، وعندما نتأخر.. تخرج أمهاتنا لتبحثنّ عنا في كل مكان ، لتردنا إلى

البيوت.. وعندما يجدونا يهرولن خلفنا ، فنجري أمامهن.. فتزعق أمي عليّ ، بكل صوتها الجميل ، تناديني ، تتوعدني ، وتخفني بأبي الذي ينتظرني في البيت وهي تهددني.. فأجدني أجري أمامها في صمت وخوف إلى البيت.. وبعدما أغتسل أتناول عشائي.. أذاكر دروسي ، ثم أرتب جدولي ، وشؤوني الصغيرة أجمعها في حقيبتي.. وبعدها أنام.. وأنا أحلم باليوم الجديد .....

....

لو أن الزمان يعود.. ليتحرك قلبي الصغير من مكانه ويقفز.. يجري خلف بنت الجيران الصغيرة ذات الخامسة عشر ربيعاً، ليتعلق في عينيها الزرقاوين، وشعرها الأصفر الطويل الذي يضاهي خيوط الشمس، وهي تسير في طريقها إلى المدرسة ، في كل صباح أقف ، أنتظرها، أمام الشارع لتنظر إلى وتبتسم فأرتبك، ويهتز قلبي في صدري، وأفرح ، وأظل يومي كله أفكر فيها ، وأنا سعيد جداً، وفي الليل أحلم بها، وبعينيها.. وأتمنى أن أكون شاعراً لأكتب فيها الشعر، أو رساماً لأرسم ضحكة عينيها تبلوهاً جميلاً ، أو نحاتاً

لأصنع لها تمثالاً أزين به وجه مدينتي الخرسانية ، أو ثرياً لأتزوجها.. وأظل أحلم.. وأحلم حتى يأتي الصباح ...

****

قصة قصيرة ...

هــوى

حلم بالشهرة ، فسعى إليها حثيثاً ، باع كل غالٍ وثمين ، وبَذَلَ التَّفْسَ وَالنَّفِيسَ ، داس على كل شيء في طريقه حتى المبادئ التي تربى عليها ، لم يلتفت خلفه ، أو يألو على شيء ، وكان يقول " الغاية تبرر الوسيلة " حتى وصل إلى مبتغاه ، القمة التي هوى منها سريعاً ، ودوى سقوطه انفجاراً عظيماً في بئر النسيان ، بين قوسين " في سلة المهملات " .....!

****

قصة قصيرة ...

غجرية..

طرحت أحلامها فوق مرآتها الكبيرة المتصدعة المتسخة ، حلت شعرها فانسدل ليلٌ بهيم ، نشبت فيه أناملها الطويلة.. مشطته ، داعبتهُ، صنعت منه تسريحات جميلة .." بربرية " " غجرية ".....

ارتدتْ ثوبها الأسود الرقيق فبرز كل تفاصيل الجسد الأبيض الطري.. ثم طرحت كل أحلامها في فراغ الغرفة.. وكنتُ أتابع أحلامها الفوضوية.. باهتمام بالغ.. أترقب تمردها عن كثب ، وفي صمت مطبق.. فلما رأتني ارتبكتْ ، خنستْ.. نهضتْ مسرعة وقد ترجرج النهد البض أمامها، والحلم تعثر جمعت أبعاضها المبعثرة من فوق المرأة المتصدعة بتؤدى وعلى مهل، وبحركة سلحفاءيه بطيئة، تبخترتْ ترجرجتْ ببطء أوصدت النافذة بعدما لملمت بياض الثلج المتساقط فوق جبين الليل، وفوق جبيني وأسدلتْ الستار وتتقوقعت داخل أحلامها الفوضوية.. وأنا في صدري توقد نار حامية .....

قصة قصيرة ...

مربع حوار الفيس

يسألني: بتفكر في إيه..
قلت له: فكرت كثيراً.. وتعبت يا بيه..
قال لي: يعني إيه .؟!.
قلت له: يعني لو فكرت يحصل إيه .؟..
قال لي: تكون إنسان..
ضحكت وقلت له: بأمارة إيه
سكتْ حبة وبَصْ لي وزغر لي يعنيه
وقال لي بجد ، بجد أنا مش عارف أرد ، وأقول لك إيه
قلت له من فضلك سيبني لحالي مش أنا الشخص اللي بدور عليه
أكيد أكيد غلطت في العنوان يا بيه

****

قصة قصيرة ...

عسب الليل يورق أحزاناً ...

" 1 "

خلف المسافات البعيدة ، أهرب ، أختبئ.. أخاف.. من لا شيء.. أتقيأ أبعاضي ، الموهنة.. فتتناثر.. قطعة، قطعة.. أفرك أيامي بين يدي.. أزروها صوب اليم.. فتنبت عشباً.. تنبت كلأً.. وسنابل خضراء.. لا تأكلها السنون.. اليابسات .....

" 2 "

حين تُجردني الريح.. تشرئب حيتاناً جوعى.. يسْتَهَمُون.. يعتركون ، والنهر الباكي خلف الظلام يمد يديه.. لينتزع مني الشوارع ، والواجهات.. وكل الحانات.. ومقعد شاغر في الطائرة.. التي تقلني في المساء .....

" 3 "

تحت جدار البنفسجِ.. أتوقد ناراً.. فتشتعل كل الرُأي القاحلة.. وأرتل بعضاً من النبوءات.. ثم أعود وحيداً.. أجلس في انطواء.. تدهسني الدهشة.. وعيون مسافرة .....

" 4 "

طائر الشوك.. إتَّئد.. وقعي لصوتي المبحوح.. أأعياك التَّرْحال أغاريدك يكللها الندى.. والمدى شذا يعبق هذا الكون الفسيح.. وحيداً أنت يراودك البحر فمدَّ له يَدَا.. وسخيمةُ ملح في الرجوع ، ودموع.. وهديل الحمام، صار فحيح.. وأناشيدك.. جراح نَكْئا ، فالنزف حتى آخر خيطٍ.. أو آخر حرفٍ لهذا الخريف

****

قصة قصيرة ...

بزينتها

ثمّ شيء ما بداخلي.. دفعني.. قادني.. بقوة.. إلى الذهاب.. تهيأت.. لبست أجمل الثياب.. مشطت شعري.. وضعت الطيب.. لمعت حذائي.. وذهبت.. مرغماً.. قادتني قدماي.. ومن حيث لا أدري.. إلى مكان الدعوة.. برغم علمي بأن الموقف صعب.. والمشهد الذي سأراه.. قد يسبب لي صدمة.. ومع ذلك ذهبت.. وليس ثمّ شيئاً برأسي يدور.. سوى التفكير في هذا المشهد الصادم والموقف الصعب الذي سأواجه.. وأسئلة صعبة مطروحة.. وعلامات استفهام كبيرة...؟؟؟.. أحاول أن أجيب عليها.. ولكن دون جدوى.. لماذا دعيت...؟.. وماذا عساي أن أفعل..؟.. حيال هذه الدعوة ..؟.. وماذا أصنع ..؟.. وهل سأتحمل ما سأراه..؟... وما الذي كان سيحدث..؟.. لو لم ألبي تلك الدعوة الـــ.....؟ ..

الحفل يعج بالمدعوين.. الأصوات تنبعث من كل جانب.. والمغنى ينبعج صوته.. من بين أنغام الموسيقى الصاخبة.. أرسلت عيناي.. تجوب في المكان.. تخترق الصفوف.. تمسح الوجوه.. تتخطى الرقاب عبثاً تبحث عنها.. في محاولة بائسة.. يائسة.. رميت بصري على شاشات العرض الكبيرة.. وذهبت خلف الكاميرا.. وأنا جالس في صمت.. مغيب عن الواقع.. لا أرى.. ولا أسمع.. إلا ضحكاتها الحلوة.. وهي ترن في محيط أذني.. وتلك الكلمات التي قالتها لي في آخر حوار دار بيننا..؟ .." منذ صغري وأنا أضع أمام عيني هدف معين.. ومبدأ واضح.. وهو أن الإنسان الذي يستطيع أن يصل قلبي عن طريق عقلي هو الذي سيكون شريك عمري ".. بدا عليَّ الارتباك.. وحامل الكاميرا يقترب مني.. والناس ينظرون إلى وهو يلتهم وجهي.. بعدسة كامرته التي يحملها.. وقد تجهم الوجه.. وتقطب.. واشتد به الغيظ.. والغضب بلغ ذروته.. بحثت عن ابتسامة أي ابتسامة.. لأضعها على وجهي العابث.. الذي بدا شاذاً وسط المدعوين وحتى لا تراني.. بهذه الصورة المهزوزة.. والتي لا أحب أن تراني بها.. اقترب مني أكثر.. وهو ينظر بابتسامة بلهاء..

فنظرت إليه.. وأنا أحاول أن أنزع تلك البسمة التي على وجهه.. لأضعها على وجهي.. ولكني فشلت.. ثمّ شعور ما راح يداخلني.. وأحسست بأن كل من حولي يرقبني.. وكأنهم يعرفون قصتي معها.. ها هي تظهر على شاشات العرض أمامي.. بزينتها.. وبفستانها الأبيض الطويل والطرحة علت رأسها.. وقد ازدادت جمالاً على جمالها.. وبجوارها.. هذا الرجل الغريب الذي لا أعرفه.. ولا أريد أن أعرفه.. فقد أخذها مني.. وراح يراقصها على أنغام الموسيقى الصاخبة.. والناس حولهما يباركون.. يزغردون.. يصفقون.. ويرقصون.. لكم هي اللحظات قاسية.. وهي تمر عليَّ لتقتلني....."...

" مميت أن ترى حبيبة قلبك.. وقد أمسكها غيرك.. وضمها لصدره.. على مرأى منك ومسمع وهو يهامسها.. يضاحكها.. عيناه في عينيها.. ويداه في يديها.. وقد اقتربت منه أكثر.. فأكثر ، وأحاطها بيديه ".. يا لهول اللحظة.. ووقع المشهد على عيني.. وقلبي.. ونفسي.. أشعلت سيجارة.. وأخرى وراءها.. والحزن الشديد يعصرني يقتلني.. وعندما لم أستطع أن أتحمل قمت في

هدوء وانسحبت.. في صمت.. وانصرفت.. مهزوماً.. مكسوراً.. دون أن يحس بي أحد.. وأنا أغالب دموعي ومرار الصبار.. وملح الأرض كلها في حلقي.. وصوتها يتردد في أذني .." منذ صغري وأنا أضع أمام عيني.. هدف معين ..." وأنا أردد بداخلي "... ليتني لم أرَاها ... وليت قلبي أحب سواها ... !"

****

قصة قصيرة ...

في هزيع الليل

في الهزيع الأخير من الليل..الشوارع.. يملأها..الصدأ.. العفن.. صمت القبور.. رائحة الاغتراب.. نباح الكلاب.. ذئاب.. بوم.. خفافيش.. وفراشات تطير.. وفراشات معلقة.. في خيوط المصابيح الناعسة في الشوارع التي كانت تضمنا كل مساء.. وكنت وحيداً أتسكع.. أنا وظلي.. والذكريات الموجعة... و.....

....

في الهزيع الأخير من الليل الشوارع.. تورق قصائد.. حكايات.. أشباح.. رياح.. وخطاً هزيلة.. وذاكرة متعبة.. أثقلتها الجراح.. ووجه غريب يجلس.. وحيداً.. على مقعد رخامي.. أرقب في مقلتيه دمعة. تتراقص ترفض الانحناء.. أنهض.. أضغط على يديه.. أرشف من عينيه الكبرياء.. أهمس في أذنيه بقصيدتي التي لم تكتمل... و .....

في الهزيع الأخير من الليل.. الشوارع تبدو شظايا أفكار عميقة عتيقة.. وأسأله معلقة.. والذكريات تفردني.. بين الطرقات.. وفوق الأوراق.. أرق.. أرق.. قلق.. قلق.. يدمرني الخوف.. يُدخلني مدن الفراغ والثلج والدخان.. والصمت الرهيب.. ويضيع من قدمي الطريق.. فـأراني أطارد أشباحاً وأوهاماً.. ويصارعني الملل.. وأشياء لم أرَاها ... و .....

....

في الهزيع الأخير من الليل أبدو وكأني في صندوق من الزجاج وفمي قد انطبق فأصرخ فوق الورق ...و.....

الليل حيث الفراغ.. وعباءة الليل الكئيب.. حين يُدخلني الخوف عبثاً أحاول الخروج.. من صمتي جنوني.. ذاكرتي.. بوتقتي قنينتي.. عوالمي.. أنأتحرر.. أكسر الصمت اللا نهائي أن أصرخ فلا أستطيع..

****

قصة قصيرة ...

شرنقتان صغيرتان

" 1 "

في رحم الكلمات.. طوراً.. أتشرنق.. شمساً.. أو قمراً.. أمارس أطوارَ الخلق الأول.. وطوراً.. آتيه.. أعربد.. ألهو.. كفراشة بيضاء.. تحلق في عين الشمس الحارقة، والمصابيح المعلقة على الطريق.. وفي آخر الليل.. أحمل ذاكرة بيضاء.. وقلباً أبيض.. لم يخدشه بعد.. وعر الأيام.

" 2 "

حين تطل العفاريت، برؤوسها.. من خلف الأشجار العتيقة.. والبيوت.. والحقول الخضراء، آتيها تحت شجرة التوت.. على شط الترعة الصغيرة.. تجلس تغسل شعرها الطويل.. الأسود كالليل، تدندن.. بأغنية للطير المسافر.. والربيع الأخضر.. أقعد لجوارها.. في صمت المستكين، أضرب وجه الماء بالحجارة.. وبأيامي.. فتهتز

نجوم السماء.. والقمر.. وأسراب الطير العائدة إلى أوكارها.. في الشفق الأحمر في الغروب.. وقلبي الصغير يدق مغتبطاً.. سعيداً.. و.....

****

قصة قصيرة ...

حوار طويل جداً

ابتسمت له.. وهي تغلق الباب.. تَسَمَّر مكانه.. جلس يفكر.. حدثته نفسه.. بأشياءٍ كثيرةٍ.. أدار بينه وبين نفسه حواراً.. طويلاً جداً.. عرض رأيه.. والرأي المقابل.. افترضَ أشياء.. ثم اعترضَ عليها.. وافق.. ورفض.. علل.. وحلل.. ما رأى.. وما مر.. وما حدث.. منذ قليل.. ولما احتد الجدل بينه وبين نفسه.. وأضناه الأخذ والرد.. سكت وأنهى النقاش..؟؟

قصة قصيرة ...

أحــلام

جلست تحدق في المرآة.. رأت صورتها باهتة جداً.. وواهنة.. تحسست جسدها الممتلئ قليلاً، برهة قصيرة فكت ضفائرها.. فانساب ليل بهيم.. نشبت فيه أظافرها حللته.. مشطته.. ثم رمت به.. في كل اتجاه.. لملمته ثانية بين يديها.. تأوهت.. ثم بعثرته مرة أخرى.. مدت يدها البضة.. أخرجت علبة ماكياج صغيرة.. التي أشترتها من مصروف جيبها.. في العيد الكبير.. حددت حاجبيها.. بدقة متناهية.. بعدها مسحت وجهها بعناية فائقة.. رسمت شفتيها المستديرة " بالروج "سكبت على يديها.. من قارورة الطيب الفاخر.. فركت يديها مسحت أنفها.. وخلف قرطيها.. هزت رأسها انتشاءً.. وهي تدفئ يدها.. في صدرها الصابئ..ترمقه بنظره سريعة يبتسم.. تومئ برأسها.. تنهض متكسرة في دلال.. تتلفت حولها في زهو تتقدم بخطى واثقة.. تنظر إليه بكبرياء.. وقبل أن تصل إليه..

ترجع مهرولة إلى المرآة.. وكأنها نسيت شيئاً ما.. هنالك تنحني لتعُد من جديد وجهها على المرآة.. تنظر إليه ثانيةً.. تعض شفتها السفلي.. تمرس وجنتيها بأناملها.. وتمسح حواجبها بعناية.. ترمي ببعض الخصلات على جبهتها تضغط على خصرها النحيل.. وتتمطى.. تدندن ..

ـــ " يتشوف لك حل في حكايتنا يا تعزل وتسيب حتتنا "

تقترب من الشباك.. تشد ستائره البيضاء.. وهي تزدري الليل المترامي الأطراف في الأفق.. تضيء.. "الأباجورة الحمراء".. ثم ترمي نفسها فوق السرير تحتضن صورته بين زراعيها الحاسرة.. فتشعلها الذكريات المحمومة.. ترمي بحذائها بعيداً.. تطفئ مصباح الغرفة.. فتبدو صورتها في المرآة.. باهتة جداً .....!

****

قصة قصيرة ...

روائح الفّل

" 1 "

في يوم ما.. ومن مكان مجهول.. هبت منه.. روائح الفل والياسمين.. وكانت العصافير تطير ، والمطر غزيراً.. يغسل الأشجار.. والبيوت.. والحقولَ.. قالت:"سألقي ألقابك كاملةً "ثم انطلقت.. تسابق الريح.. وحين التفتُ.. احتواها الظلام.. فرُحتُ أحث الخُطى صوب اليّم.. وفمي الزنجي صار مدخنة.. ويداي صارتْ مكبلة .....!

" 2 "

يومٌ ثانٍ.. كنتُ أجلس وحيداً.. على نفس المقعد.. الرخامي أداعب موج البحر.. والأرق فوق الورق.. أغسل ذاكرتي المتسخة.. رأيتها فوق رأسي.. تقهقه.. بصوت عالٍ.. وقبل أن أقوم من مقامي.. لِأمسك بها.. اختفت كالطيف.. أو نجمة بين السُحب البعيدة.. فوئدت كل حروف النداء في الحنجرة ...!

" 3 "

يوم ثالث.. كنت أسير في الشفق.. ومعي كل لغات الطير.. والنخيل، وسخات المطر تغسل الأشياء.. تمحو الأثر.. صفعني رجع الصدى.. انتبهت للحظةٍ.. فأعطتني وُرداً.. يحمل لون السماء.. ورائحة الرماد.. وطعم المساء..

****

قصة قصيرة ...

من سفر الحكاوي

يُحكى أن أجرب.. وأقرع ، وأبو ذُّنانة.. ثلاثتهم اجتمعوا في يومٍ ما.. وكان رابعهم كلبهم ... في فسحة على الكورنيش.. وقد اتفقوا فيما بينهم بأن لا يأتوا بما كانوا يفعلونه من قبل.. قال الأجرب : ــ أنا لا أهرُش أبداً..

وقال صاحب الذُّنانة : ــ وهو ساقط أنفه ، ويشن،

ــ وأنا سأتعهد أنفي فلن أدعها تسقط مني ، ولن أشفط أبداً .

وقال الأقرع : وهو يضرب رأسه بيديه ،

ــ أنا لا أضرب على رأسه ثانية..

واتفقوا على ذلك ، وحتى لا ينفر منهم الناس ، وطال تصبرهم وفجأة ظهرت على البعد سفينة قادمة من بعيد.. فقام أبو ذُّنانة بمد يده تحت أنفه ، ومسح ذُّنانته بكمه.. وراح يشير إليها بإصبعه وهو يقول :

ـــ سفينة جاية أهووو من بعيد

فرد عليه الأجرب وهو يهرش في بطنه.. وهو في حالة انبساط تام.. وأخذ يقول:

ـــ أيوه أنا شيفها آه.. آه جايه آه ..

وراح يمارس الهرش في أريحية وانبساط تام..

فما كان من الأقرع ، لما رأى صاحبيه على تلك الحالة من الانبساط، والنشوة ، وقد مارس كل منهما هوايته المفضلة.. فما كان منه إلا أن راح يضرب على رأسه بكلتا يديه.. وهو يتمايل ، ويتطوح في حالة وجد وهيام.. وهو يقول:

ـــ جاية وفيها طبلة وزمارة.. جاية وفيها طبلة وزمارة

وما كان من كلبهم، إلا أن راح ينبح على السفينة ، القادمة من بعيد.. مجاملة لهم.!

****

قصة قصيرة ...

عالم آخر

مع العصاري من كل يوم.. تعود أن يراها.. تقف أمامه.. صامتة.. وقد تخففت من ثيابها.. مفرودة الشعر.. تطل من البلكونة.. تفرك يدها البض.. وهي تتلفت في توتر.. وقلق.. وعيناها تدور هنا وهناك ...

وحين تتأكد أن أحداً لن يراها غيره تلج إلى الغرفة ببطء.. تجلس على السرير الخشبي ، تضحك بصوت منخفض.. ترمقه بنظرتها الواعدة.. يتظاهر بأنه لا يراها.. تفتعل صوتاً تكح ، ينظر ، فيمتقع لونه.. تُعدل من جلستها.. يبهت.. تبتسم ، ابتسامة بلهاء .. فيطير عقله من رأسه.. ويفرّ.. تُحَلِّل شعرها بأصابعها الطويلة ، وهي ترميه بنظرة أَحَدُّ من الخنجر ، فيهرب الدم من عروقه.. وينشف.. تزفر.. زفرة طويلة حامية ، متقطعة.. تتأوه.. فينتفض كالعصفور المبلول.. ويدخل في سرداب مظلم من القكر القاسي.. تلملم أعضاءها المبعثرة.. تقف أمام المرآة الضخمة..

تنظر إليه.. تمشط شعرها من جديد.. ترميه للوراء تغني بصوت رخيم.. وتمضي ساعة أو تزيد.. وكلاهما ينظر للآخر في صمت.. وتوتر ، وترقب ، وذهول.. وكأنه انتقل إلى عالم آخر....

****

قصة قصيرة ....

قشعريرة

وضعته في حجرها.. ألقمته صدرها الضامر.. ليكف عن البكاء.. بشفتين زنجيتين.. يرضعه بنهم.. وهو يهز رجليه.. وقد علت عينيه المتسخة.. أسراب من الذباب.. وهي تضرب على ظهره ... لتهدأ من هياجه.. تناغيه.. تهدهد مشاعره.. لينام بينما جسدها النحيل تسري فيه قشعريرة لذيذة ...

****

قصة قصيرة ...

محاولة فاشلة

تسلل إلى غُرفة نومي.. وأنا في وضع استرخاء.. بين النوم والإغفاء.. والظلام الدامس يملأ كل شيء.. تظاهرت بالنوم.. سَكَّنتُ أعضائي، ولم أتململ.. منتظراً ماذا يفعل.. فتشجع.. اقترب من أغراضي.. وراح يعبث في محتوياتها.. يفتش عن شيء ما خبأته انتهزت فرصة انشغاله ، ببطء ومن دون أن يشعر.. أمسكت عصا، كانت بجواري.. قمت مسرعاً.. أوقدت المصباح.. وقبل أن أغلق عليه الباب.. أنفذ سيناريو صغير.. كنت قد اعددته برأسي جيداً.. لاذا بالفرار.. فَرَّ هارباً.. فعدوت خلفه.. لألحق به.. لكني لم استطع.. لسرعته.. وخفة حركته.. تسلق حائطاً لجارتنا.. ضربته بالعصا.. في محاولة أخيرة لإيقاعه.. فتخطاها بسرعة فائقة ، ولم تصبه بأذى.. وقفت أنظر إليه.. وكلي غيظاً ، وحنقاً.. وساعة الحائط تدق لتعلن عن تمام الساعة الثالثة صباحاً .....!

2015 / 4/ 6

قصة قصيرة ...

على النوتة

ما زلت أذكر أبي، قبل موته بفترة، وكنت صغيراً يصطحبني معه، ذهب إلى جزار بلدتنا ، ليقطع منه كيلو لحمة " على النوتة " فرفض الجزار أن يعطيه ....

أبي عاد إلى البيت ، والدموع تكاد تفر من عينيه ، الذابلة.. أمي لما رأته مهموم ، قالت له " مالك " فقص عليها ما حدث " أبي كان رجلاً بسيطاً، وفقيراً ،على قد حاله ، وأيضاً كان طاعن في السن ، وليس معه وظيفة ، ولا دخل حكومي اللّٰهُمَّ سبوبة بسيطة بالكاد كانت تقضي معيشتنا ــ الله يرحمك يا أبي ــ عشت فقيراً.. ومت فقيراً ، وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى ــ بأن يحشرك في زمرة الفقراء "... المهم ... قالت له أمي : ــ" ولا يهمك ".. وقامت مسرعة إلى " عشة الطيور ".. وذبحت لنا ديكاً كبيراً ونظفته من الريش ثم حشته أرز ، وشكلت عليه شوية ملوخية ناشفة كانت في الدار وتعشينا وانبسطنا.. وحمدنا الله تعالى.. وبعدما رأيت أبي في أول

النهار.. تكاد الدموع تفر من عينيه من الألم والحزن.. رأيته في آخر النهار يضحك مع أمي في الغرفة الثانية.. والدموع تكاد تتساقط من عينيه الذابلة من شدة الفرح ... وبتنا ليلتنا بأسعد ليلة ...

****

قصة قصيرة ...

جار سوء

كل يوم يؤذي جاره.. حتى ضاق به ذرعاً.. فحمل متاعه.. وألقاه على قارعة الطريق.. ثم جلس مغتماً.. فراح الناس يمرون عليه.. يسألونه.. فيجيبهم عن السبب.. فجعل الناس يبغضون جاره، ويسبونه، وربما لعنوه، ودعوا عليه.. ومضوا.

****

قصة قصيرة ...

النافذة

(1)

حين تفتح النافذة التي تطل على غرفة نومي تدحرج الصباح.. فتغرد العصافير.. وتبتهج الأشياء.. وتصفو .....

(2)

كانت تطاردني عيناها- صباح مساء ترصدني، تصعد ذاكرتي تجعلني أتعثر في جلبابي.. كلماتي.. ألملم أشتاتي.. فأراها تتعلق بذراع المدينة.. حينها كنت أتعاطى الصمت.. وفي القلب جبال من التعب.. أقبلت ترفل في زينتها.. رمقتني بنظرة فاترة، ساحرة.. ثم انزوت في منعطف الشارع الضيق.....

(3)

وفي ذات ليلة.. من ليالي الشتاء البارد.. راحت عيناها تترقرق بالطيبة.. وألف الف قصيدة.. وكأن وجهها حديقة.. أخاذة، بدوية الملامح، رقيقة.. كلها عذوبة .....

(4)

وحين كان المطر يغسل الشوارع.. البيوت.. التربة.. جلست.. وحيداً على مقعد رخامي.. أنتظرها.. تتكسر في مشيتها.. أرقب طلعتها البهية.. وعطرها الفواح.. يسبق خطاها إلى صدري.. و.... وحين طال الانتظار.. عصرت ذاكرتي.. ثم نشرتها في وجه الريح، ورميت منها جميع الأسئلة.. ثم عدت إلى غرفتي.. وفتحتُ النافذة.

(5)

لعلها الليلة تخدش حياء الليل.. أو لعلها ترمي ببياضها فوق ضوء القمر.. أو لعلها توقد المصباح.. أو لعلها قد نامت.. أو .....

قصة قصيرة ...

غرفة رقم (5)

من خلف النافذة الزجاجية الصغيرة، وقفت.. خائفاً.. مرتبكاً.. متوتراً.. قلقاً.. حائراً، أنظر في هلع شديد، وخوف.. أترقب.. أترصد كل شيء.. يدور بداخل الغرفة المغلقة.. أشرئبُ برأسي.. أسترق السمع، الهمس.. من فوق شفاههم.. تدور عيناي، هنا وهناك.. ألاحظ حركاتهم، ضحكاتهم المقززة.. أحلل..أعلل وأناقش مع نفسي كل شيء أراه وأسمعه، وأتوقع كل ما يحدث، وما يدور.. وأتصور.. أتخيل.. أشياء، وأشياء.. وهم يكشفون عن بطنها.. والوقت يمر ببطء شديد.. وكأنه سلحفاء عرجاء عمياء.. هيئ لي بأن اللحظة صارت دهراً.. والدقيقة استحالت أبداً.. والزمن قد توقف عندي تماماً.. فالتي بالداخل تخصني ويهمني أمرها.. وهم يحيطونها من كل جانب.. وقد كشفوا عن بطنها، وظهرها.. جن جنوني، وطار عقلي من رأسي وفر.. هممت أن أكسر الباب.. اقتحم عليهم الغرفة المغلفة المشؤومة كوحش كاسر.. فأوسعهم لكماً،

وركلاً، وسباً، ثم أنتزعها من وسطهم عنوة.. لكني تراجعت في اللحظة الأخيرة.. لأن الأمر جد خطير.. وقد يمثل بالنسبة لها خطورة.. قد تؤدى بحياتها.. ترويت قليلاً. فالأمر لا يحتمل التهور، والاندفاع.. لمحني أحدهم، وأنا أحدق فيهم جميعاً.. وأوداجي قد انتفخت.. واحمر وجهي.. وأنا انفخ و" افش" من الغيظ.. وبلغتُ درجة الغليان.. وبركان الغضب بداخلي بلغ ذروة نشاطه.. ارتعدت فرائصه.. وارتعشت يداه.. فأشار بيده نحوى.. أن أبعدوه.. وقد ارتبك قليلاً ، بلع ضحكته بريقه.. أدار ظهره.. تجاهلني تماماً.. بعدما أشعرهم بوجودي.. فأداروها بالسرير بعيداً عن عيني ، حتى لا أراهم نظرت لساعتي.. لأتعرّف الوقت.. والأذان يملأ أرجاء المكان.. طلب أحدهم مني،أن أغادر المكان.. هممت أن أصرخ فيهم (اتركوها يا أولاد الكلب) لكني بلعتُ صوتي، وأمسكتُ لساني، وضبطتُ أعصابي، وأثرت السلامة، وسكت.. سحبتي قدمي المعتلة، المتعبة.. فلم أشعر إلا وأنا في الجامع، صليت العصر حاضراً.. تضرعت لله بالدعاء، دعوت الله لها.. وألححت في الدعاء.. وعندما فرغت من الصلاة..عدتُ إلى المشفى.. وجدتهم

وقد فرغوا من إجراء العمليةٍ الجراحيةٍ لزوجتي.. ووضعوها في عنبر الجراحة.. غرفه رقم (5)

****

قصة قصيرة ...

مجادلة

قال الشيخ للتلميذ : مثل المرأة كالأرض .

قال التلميذ : عذراً يا مولاي.. المرأة كالثعبان .

قال الشيخ : المرأة كالنخلة .

قال التلميذ : المرأة كالنار .

قال الشيخ : المرأة تُنبتنا زيتوناً، أو شوكاً.

قال التلميذ : المرأة التي تتحدث عنها عقمت يا مولاي ..!.

قال الشيخ للتلميذ : تأدب يا هذا.. المرأة إنسان..

قال التلميذ : عذراً مولاي.. المرأة إنسان ..

قصة قصيرة ...

مزهرية

همس أحدهم.. واليهود يملؤون الشوارع.. بزيهم البغيض..

ــ متى يعود أبي ..؟!!

ــ .....

يقترب أحد الجنود.. المدجّجين بالسلاح.. وعلى وجهه مسحة من العجرفة ممزوجة بالخوف.. يأمرهم بالابتعاد عن المنطقة، المحظورة.. فيرفضون ويواصلون السير.. يُخرج من فوّهة البندقية، بعض الطلقات المطاطية في الهواء.. فلم تكن مفاجأةً بالنسبة للأطفال.. فهم تعودوا على ذلك كثيراً.. واستمروا في السير بتحدي.. فيضغط على الزناد مرة أخرى.. ولكن الطلقات في هذه المرة، طاشت من فوق رؤوسهم.. ومرقت من بين أقدامهم الصغيرة الحافية ، فوقفوا في ثبات الجبال.. وغضب الريح.. تخرج من عيونهم نارٌ آكلة.. أومؤوا فيما بينهم وكأنهم مزمعين على أمرٍ ما.

في سرعة البرق.. قذف أحدهم حفنة من الرمل في وجه الجندي الإسرائيلي فانشغل بعينيه.. فنزع الآخر سلاحه ثم أردوه قتيلاً، وفروا في الهواء.. شاهد عيان قال " إنهم صبية صغار دون العاشرة.. يرتدون كمامات سوداء وتقريباً في طول واحد.. وأعمار متقاربة..ويحتمل أنهم ينتمون إلى منظمة محظورة... وقد قام رجال البوليس الإسرائيلي..بإغلاق المنطقة.. ليمشّطوا الشوارع.. والبيوت المحيطة بالحادث.. بحثاً عن أولائك الأوغاد .." على حد تعبير جهاز الموساد "..

وبعد أيامٍ كنت جالساً أمام التلفاز.. قُطع الإرسال التلفزيوني.. فجأة.. وأعلن المذيع.. "كما أنه تم القبض علي أحد القادة البارزين في المنظمة الإرهابية الناشطة المحظورة.. ويدعى من واقع السجلات.." جاسر " يبلغ من العمر ثمانية أعوام.. وقد عثر في حوزته.. علي كمية كبيرة من المتفجرات محلية الصنع.. وبعض المنشورات، التي تندد بالاحتلال الإسرائيلي.. وما زال الموساد يقوم باستجوابه "..

كورت ريقي في فمي.. قذفته في الهواء.. قمت أطفأت التلفاز.. بصقت علي الأرض.. ثم رميت بنفسي في نهر الشوارع.. العريضة المزدحمة بالمارة لأتخلص من شيء ما بداخلي ولكني لم أستطع.....

****

قصة قصيرة ...

مدينتي

وقالت التي تسكنني.. حين رأتني أوشوش النخيل والطير في السماء.. وأناجي القمر في الماء.. عند المساء.. " أيُّ نونٍ ألقمتك الشوارع.. أسكنتك القصيدة..غيبتك هذا المساء.. علمتك الرحيل.. صلبتك فوق المقاعد.. الشوارع.. المقاهي.. ثم علقتك في آخر الليل كالفراشات في ذراع المدينة المضيئة .

في آخر الليل.. الشوارع.. يملأها.. الصدأ.. العفن.. صمت القبور. الحبور رائحة الاغتراب.. نباح الكلاب.. ذئاب.. بوم.. خفافيش.. وفراشات تطير وفراشات معلقة في خيوط المصابيح الناعسة .....

في آخر الليل.. الشوارع.. تورق قصائد.. حكايات.. أشباح.. رياح.. وخطاً هزيلة.. وذاكرة متعبة.. أثقلتها الجراح.. ووجه غريبٌ يجلس.. وحيداً.. على مقعد رخامي.. أرقب في مقلتيه دمعة.. تتراقص.. ترفض الانحناء.. أنهض.. أضغط على يديه.. أرشف من عينيه الكبرياء.. أهمس في أذنيه بقصيدتي التي لم تكتمل .....

قصة قصيرة ...

ورقة من سفر الحياة

منذ أيامٍ ليست بالقليلة.. وأنا أعتقل نفسي بنفسي في البيت.. لا أكلم أحد.. ولا أحد يكلمني.. ولا أتصل بأحد.. ولا أحد يتصل بي.. تركت شعري يطول.. وأظافري.. ولحيتي.. و..و ...

وانكفأت على ذاتي.. متقوقعاً في حجرتي الصغيرة.. أرتشف الشاي، والقهوة بشراهة.. وألتهم السجائر.. بكميات كبيرة.. وبطريقة فظيعة جداً وزهدت في الطعام والكلام.. والقراءة.. والكتابة.. والتفكير ..و..و..و

حتى ساءت حالتي، وسئمت الحياة.. فقد صار كل شيء.. من حولي كئيب وتافه في نظري.. وغير ذي قيمة تُذكر.. فقد كرهت الحياة، وكل شيء فيها.. حتى نفسي التي بين جنبي، سائمتها.. مللتها.. وكرهتها أيضاً..

والإحباط عشّش بداخلي، وباض، وأفرخ، شيئان.. أو قل حقيقتان.. لا ثالث لهما سكنا خلايا المخ.. فصارا يعذباني كثيراً جداً.. ويؤلماني.. ويقِضّا مضجعي..أما الحقيقة الأولى.. إحساسي بالفشل الزريع.. برغم أني قرأت جميع الكتب.. الصفراء منها، والبيضاء.. وتعلمت في أعرق الجامعات، حتى حصلتُ على أعلى الشهادات الجامعية.. وفي النهاية، العائد . الناتج.. الفائدة.. صفر.. وللأسف الشديد ....!!

عمري ضاع أدراج الرياح.. قرأت،تعلمت، تخرجت، والحصيلة.. لا شيء على الإطلاق.. وأنا كما أنا.. محلك سر.. أو قل أجري في مكاني ، أو أدور حول نفسي.. كلهم بمعني واحد.. كالثور الذي يدور في الرحى.. مغمض العينين.. لا يعي.. ولا يفهم لما يدور.. قدره أن يدور هكذا.. حتى الموت.. وهو لا يعرف.. ولا يعترض أما الحقيقة الثانية.. كثيراً ما يخيل ليّ وذلك مما يزيد إلى رصيد اعتقادي الجازم بالضياع، والفشل الزريع ، ويضيف إلى شعوريبالأحباط.. وإحساسي بأنني نكرة في هذا الوجود ــ صفر على شمال الدنيا ــ أو تحت الدنيا.. أو على هامش الدنيا.. كلها بمعني واحد.. وبأنني إن

لم أكن أتيت إلى هذا الكون.. فلم تكن هناك ثمّة مشكلة، إطلاقاً، لذلك أجدني أفتعل المشاكل من حين لآخر.. أو هكذا تنعتني أمي العجوز.. فأراني أثور.. وأغضب.. لأتفه الأسباب.. أكسر أواني المطبخ، ومحتويات البيت.. وكل شيء يعترض طريقي.. وأضرب بيدي، ورجلي، كالمجنون، في الحيطان، والأبواب.. أزعق، أسخط، آمر ، أنهي، وأغضب لأتفه الأسباب أضرب أولاد أخي الصغار.. وأمي التي تُرجع كل ذلك.. للبن الكلاب، والحمير الذي أرضعتني إياه أختي الكُبرى وأنا صغير.. فتدعو عليها وعليّ بعدد شعر رأسها.. وعلى كل من كان السبب.. أما حريم إخوتي وبعض النسوةِ في شارعنا الضيق الطويل.. أسمعهن وهنّ ينصحنها أن تذهب بي إلى طبيب نفسي.. ليعالجني.. أما إخوتي الكبار.. أراهم يلتمسون ليّ الأعذار، ويتغاضون عن عصبيتي الزائدة عن الحد ويرجعون ذلك لعدم العمل.. ومخي الكبير الذي مُليء ومحشو علماً.. وقالت نسوةٌ أعرفهن من نساء الجيران ، سمعتهن وهنّ يهمسنّ لأمي، وهن يتغامزنّ ويضحكنّ " عاوز يجوز، جوزيه وهو يروق على طول هههه ".. ؟!. فترد أمي عليهنّ.. " هو غير راضٍ "

فيهمسنّ مرة أخري لأمي.. بأن تذهب بي، من أجل أن تشوف ريحتي عند أحد المشايخ.. المكشوف عنهم الحجاب " لتعرف السبب.. فربما تكون عين وصابتني أو معمول ليّ عمل.. أو جنيّة واقفة في طريقي.. ونصحنها بأن تزوجني معللين ذلك بكبر سني، وعيني التي تراعي على حد زعمهنّ.. و.. و...؟!! وأنا كنت أسمع ذلك كله.. وأضحك من كلامهنَّ في هستيريا، وأريد أن أرد عليهن.. ولكني لم أستطع، من كريزه الضحك الحادة التي انتابتني فجأة، .!

****

قصة قصيرة..

شيزوفرنيا ...

ليلة أمس سهرنا حتى الصباح فى الغرفة الضيقة بالطابق الثاني كنا جلوس أنا وهو في الشرفة المطلة على الشارع الطويل المطل على البحر وموج البحر الهادر يلهو على الشط. والحقول الخضراء تحيط بنا من كل جانب.. وكانت الشمس تبتسم.. وهي تلملم بقايا عباءتها البرتقالية.. لتغيب في الماء.. ليفرش الليل عباءته السوداء.. ويحتل أول مواقعه في الأفق.. وكان الصمت والسكون يخيم على المكان.. حينها دار بيننا حوار طويل جدا.. بدأ عفوياً وبسيطاً كأي حوار عادي.. مجرد فكرة، عابرة مرت بخاطري اعترضت عليها بشدّة.. وبدأ كل واحدٍ منا يعرض رأيه وما عنده من أفكار.. ويدلي دلوه في موضوع كنا قد بدأناه مذ فترة ، وتحدثنا فيه.. برهة تطور الأمر والحوار بيننا حتى صار جدلاً عقيماً وقاسياً، وراح كلٌ منا يوبخ صاحبه ويعترض عليه.. وأنا أحاول

جاهداً أن أقنعه بكل الطرق برأيي.. وضعت مقدمات وافترضت أشياء فاعترض عليها.. وتتبعت منهج أرسطو الاستقرائي.. ورحت أكلمه.. وأفكر معه بصوتٍ عالٍ.. ووضعت أسئلة وأجبتُ عنها.. وافترضتُ أشياءً ثم اعترضتُ عليها.. وظلتُ أعلل، وأحلل كل شيء.. ثم خلصتُ إلى نتائج غير مقنعة له أيضاً.. وبعد أن كانت المناقشة هادئة بعض الشيء.. ما لبثت إلا أن تطورت حتى صارت مشادة كلامية عنيفة.. معركة شرسة دارت رحاها بداخلي.. أدت إلى صراع مرير وقاسي أصابني بدوار، وأرق.. واكتئاب حاد ، فسكتُ للحظات برهة من الوقت ريثما التقط أنفاسي وأجفف نزيف العرق الخارط وأرتبُ أوراقي من جديد أشعلت سيجارة صنع محلي.. وهو ينظر إليّ من حينٍ لآخر ويبتسم ابتسامة بلهاء ، نهضت مسرعاً ، هربتُ منه ومن نفسي ، تعرقلني أفكاري.. والمرآة التي أمامي ، وأوراقي المبعثرة.. دخلت المطبخ.. صنعت فنجاناً من القهوة.. ثم عدتُ.. جلستُ مكاني.. أخرجت ورقة وقلمي " قلمي المفضل دائماً القلم الأسود الزاهي ذو السن الرفيع".. ورحتُ أُحاول جاهداً أكتب شيئاً وهو يرمقني بنظرة فاترة حادة ، رأيتها في المرآة

المتسخة أمامي ، وأنا غارق في حيص بيص ، وقد دخلتُ في شرود طويل.. ووجوم تام .. وأخذتُ أفكر.. وأفكر.. وأسأل نفسي آلاف الأسئلة.. بلا إجابة.. أشعلت سيجارة أخرى ، وأخرى وأنا عاصر رأسي بكلتا يديّ ، فتحت قوسا على الورق.. كتبتُ شيئاً أتأمله ، لم أرضى عنه شطبته ، أردت أن أكتب شيئاً آخر.. فلم أستطع.. نهضت جلست أمام الحاسوب.. وهو ينظر إليَّ. من حين لآخر في اندهاش ومنهمك في الحاسوب.. ولما مللت منه ، قمت توضأت.. صليت الفجر حاضر.. وهو مازال جالساً أمامي.. مستغرقاً في الأوراق التي تركتها على المكتب.. وعندما فرغت من الصلاة.. استرخيت على سريري.. بعدما أطفأت المصباح.. وأنا أحاول أن أنام.. أغمضت عيناي.. اجتهدتُ في طلب النوم.. فأعنتني كالعادة، وضعت وسادتي فوق رأسي فلم أستطع النوم.. وأخذت أتقلب على جنبيّ.. وهو مازال جالس بجواري أمام الحاسوب.. يقرأ ويتابع ما كتبت.. ويرمقني من طرف خفي.. ويضحك.. وأنا متجاهله تماماً.. وحين أعنتني النوم.. قمت.. رتبت أوراقي من جديد.. أشعلت سيجارة.. وظللتُ أفكر.. وأفكر.. وأضرب أخماساً في

أسداس.. وأسأل نفسي أسئلة بلا إجابة طبعاً.. ولما تعبت ، عدت إلى فراشي من جديد.. ألوذ به من البرد والصقيع.. طلب مني أن أقوم لأكمل معه الحوار.. فرفضت.. وبشدة.. وتحت إصراري.. تركني أنام ، وانصرف.. إنه شيطان الكتابة الذي كان معي.....

****

قصة قصيرة..

مناوشة

"**1**"

حين تأتي إلى دربنا.. يطير الخبر.. ينتشر.. فتنشق الأرض.. عن أُناس لا اعرفهم.. قالوا بأنهم أقربائها.. وبأنهم كانوا يوماً أحباؤها.. وبأنهم كانوا جيرانها.. وبأنهم كانوا.. وكانوا ... ولا أحد يعرف شأنهم.. وشأنها .....؟ .....

"**2** "

حين تأتي إلى دربنا كسائحة أوربية.. أجنبية.. شبه عارية.. ترتدي الفساتين الملونة.. القصيرة.. الباهظة.. الصارخة.. الـــ ....، وجهها كفلقة قمر.. أبيض كاللبن الرائق.. شعرها كخيوط الشمس.. عيناها ريفية.. أنفها قيصرية.. فمها قطعة سكر.. ياقوت مكسر.. تُسكر من يدنوا منها ، أو ينظر..؟! .....

"**3**"

حين تأتي إلى دربنا.. في المواسم والأعياد.. من كل عام.. تسهر

الناس للفجر أمام الديار.. ويمتلئ الدرب.. صياح.. وصخب.. وثرثرة سمجة.. وأنا أضرب برأسي كالحرباء.. أحصي من جاء.. ومن حضر.. ومن رحل.. وانتظر..أن ينفض السامر أو يحتضر.. أو ينحسر.. ولكن هيهات ... هيهات ..؟!...

" 4 "

حين تأتي إلى دربنا.. مع الشتاء.. مع الصيف.. مع الربيع.. مع الخريف.. ريثما يروق لها المجيء.. كفراشة بيضاء.. بارقةٌ تروق.. ولا تريق.. تنثر الضحكات.. النظرات.. الكلمات الرطاب.. فتأجج في صدور الأولاد نارًا.. وينتشر الهمس.. وفي هزيع الليل.. يتسلل المريدون إليها لوزا.. ؟؟ ..

" 5 "

حين تأتي إلى دربنا.. تسلم كل شيء.. بداخلي للفوضى.. وتجمع بين الممكن.. واللا ممكن.. تغير خارطة تكويني.. وتغرس في رأسي.. وفي حلقي.. وفي صدري كل شجر الصبار.. والشوك.. فأراني أناوش طيفها.. أطارحه في الأحلام ...؟.....

قصة قصيرة ..

لُؤْلُؤَة

أتعرفون يحي ..؟!.. كل من رآه يؤكد بأنه جميل.. كلؤلؤة بيضاء مكنونة.. بريق عينيه يشع عبقرية، وفطنة، وذكاء الروح ملائكية، النفس صافية ، شفافة، زهرة برية، وردة قدسية، شعره سبائك ذهبية، وجِناتٌ قال لها الإله كوني فكانت رُوْحَاً ورَوْحَاً وراح، وغرة جبينه يرعى فيها النهار، أنشودة للحياة.. أنفه، فمه، شعره ، صوته ، فاكهة، وحلوى ترياق وسلوى، ضحكاته أشهى من الفلوزج، وكلامه كالرطب ، مشيته قصائد معلقة على جدار قلبي، جميل الرسم، والقسم ، والمحيّا.. وباختصار شديد جداً.. كان بالنسبة لي ، يعني إكسيراً للحياة.. يحي حبيبي وُلِدَ مريضاً، قدره هكذا، وغالباً الأقدار تختار لنا وتأتي بما لا نشتهي ، أو نتمنى ... القصد ... ذهبت به إلى أكبر الأطباء، وطفت به في كل مكان، أبحث له عن دواء، عن شفاء، كشوفات، تحاليل ،إشاعات، فحوصات ما

تركت ، وما قصرت، وما تأخرت، ولكن في النهاية كانت إرادة الله.؟!.

الأطباء عجزوا عن التشخيص ، كل منهم كان يقول كلاماً غير الأخر.. فمنهم من قال لي : .." لا أدري".. ومنهم من قال " ــ لم يمر عليَّ مثل حالته..؟!.

ومنهم من كان يُبَسِّط لي الأمر، ليأخذ ما تبقى من راتبي الهزيل ثمناً للكشف وهو يقول :..

ــ " بسيطة إن شاء الله ".. ويكتب ليّ رشته بها من الأدوية ما الله بها عليم.. أما عن أمه المسكينة ، البائسة ، التعيسة فقد أكلت عيناها من شدت الحزن والبكاء عليه بالليل والنهار كانت تدعو له من أجل أن يشفيه الله لها.. حُجِزَتْ به في المستشفيات أكثر من مرة.. وكان في كل مرة يصل فيها للموت كانت تصل أرواحنا معه، ثم تعود عندما كانوا يضعون له الأكسجين وينشطون له القلب ، فيفيق ، ويعود مرة أخرى للحياة.. ومن كثرة الأدوية والعقاقير والمسكنات والمضّادات الحيوية لدرجة انه

وصل به الحد إلى أن جسده الصغير لم يعد يستجيب للعلاج.. آه آهآه .....؟ ؟ ؟ !!! .

لكم كنت أتمنى أن يعيش ، ويبقى ، ولكم دعوت الله أن يحي وسميته يحي ليحيي ولكن هيهات.. هيهات.. فلم يغني عنه من أمر الله شيئاً.. ولكم كنت أعد الأيام والليالي بل الساعات والدقائق حتى أره كبيراً أمامي ، وأراه وهو يمشي ، ويجري ويلعب.. يكلمني واكلمه ، يداعبني وأداعبه، أناديه وينادين بأجمل كلمة في الوجود .." بابا ".. لكن الأيام.. والليالي لم تمهله.. آآآه ....

وكانت الساعات تمرعلينا بطيئة جداً وكأنها شهور،لا بل دهور ولكم سعدتُ كثيراً وفرحتُ ،عندما كنتُ أراه يضحك، وفى ذات اللحظة كنت أتقطع من داخلي ألاف بل ملايين المرات حين كنت أرى آلامه و دموعه محبوسة خلف بريق عينيه وأنا لم أستطع أن أزيل عنه الألم.. ومرت الأيام والشهور ، ولا يعلم بحالنا إلا الله ، وبعد ما شابت أيامي ، واحدودب ظهري ، وانحنى ، ورايته يجلس ، ويحبي، بل كان يمشي.. ويتكلم.. ويبكي عليَّ حين يراني أخرج، فأحمله على كتفي وأخذه معي أطوف به الشوارع

وأقضي به حاجاتي ، فهو يحبني كثيراً جداً وأنا أحبه أكثر ، فروحي معلَّقة بروحه ، فهو يشبهني كثيراً جداً لدرجة المطابقة.. ولكم لاعبته ، وحملته على أكتافي ، وعلى العجلة التي معي ، وذهبت به في كل مكان.. ثم أعود به إلى المنزل ، لأجد أمه في انتظارنا وقد انشغلت علينا.. تسألني كعادتها وهى تأخذه مني ، وهو يبكي عليّ ولا يريد الذهاب إليها..

ـــ " هل بكى معاك وأنت في الخارج ..؟!..

فأجيبها وأنا أقبله ، وأضحك..

ـــ " لا "....

ومر عام كألف عام.. وانتصف العام الثاني.. ويحيى صار يمشي ، ويتكلم ، ويلعب معي ، ومع إخوته.. وبدأ المرض يتلاشى منه ويختفي شيئاً فشيئا حتى كدنا أن ننساه تماماً.. حتى أنى كلما أردت أن اكلم أمه عنه تشيح في وجهي وهى تقبله.. وتقول لي : في غضب ،

ـــ " خلاص يا خويا ، ولدي بقي سليم وعال العال والحمد لله وهو زي الفل قدامك والحمد لله " ...

وفى ذات يوم ..عدت إلي البيت عِشاءً.. وجدتُه يبكي بشدة سألت أمه عن السبب فقالت : وهى تعد لي كوباً من الشاي ــ منذ خرجت في الصباح وهو يبكي عليك

فطلبتُ منها أن تترك كُل ما في يدها وتُسكِته فحملته في صدرها ، ثم صرخت.. !

ــ ألحقني الولد بيــ ضيع منى ..!!

فقمتُ مذعوراً لأجد وجهه وقد ازرق ، ولم يستطع أن يأخذ نفسه ، فجريت به إلي المشفى وفى الطريق لفظ أنفاسه ألأخيرة وهو في صدري وهو ينظر إلي والدموع ملء العيون ولما وصلنا إلي هناك.. وكشفوا عليه.. قالوا لي :

ــ احتسبه عند الله ..!

فلم أدري بشيء بعدها.. غير أنى حملته وعدت به إلي البيت لأجد أمه في انتظاره لتطمئن عليه فلما رأتنا صرخت بصوتها وانهارت فصبرتها ، وبتنا ليلتنا بشر ليلةٍ ، أخذناه في حضننا تارة نكلمه كما كنا نفعل قبل ذلك ، وتارة أخرى نبكي عليه.. وفى الصباح غسلناه ، وكفناه ، ثم صليتُ عليه ونزلتُ معه في القبر لأدفنه مع

الفحار وما أن فككت أربطة الكفن الثلاثة حتى رأيتُ بأم عيني نوراً يبك فجأة ليغمرنا ويملأ القبر نوراً لم أرى مثله قط ، فكبَّرتْ وخفتُ وخرجتُ مهرولاً مذهولاً مدهوشاً وخررتُ لله ساجداً أحمده وأشكره وأدعوه ....

ثم عدتُ إلى حجرتي.. أخرجتُ صورته الوحيدة التي طالما طلبتها منيّ أمه ذات مره وألحت عليَّ بأن أصوره لها وكنتُ أرفض ، وأمانع لا عن بخلٍ ، ولا عن شيءٍ سوى أنى كنتُ أشعر بداخلي وأحس إحساس أكيداً بأني لو صورته فسوف أفقده.. ومع ذلك صورته.. فكانت تلك هي الصورة الأولى والأخيرة له والتي مازالت ، وما زلت أحتفظ بها حتى الآن فوق رأسي.. و....

****

قصة قصيرة..

اعترافات أنثى بريئة

أنا أكره أبي، نعم أكرهه من كل قلبي ، لا تقولوا لي" إنكِ بنت عاقة " لا، لا يا سادة، أرجوكم ، توقفوا، لا تستعجلوا في الحكم عليّ، سأخبركم، نعم سأخبركم، لماذا أنا أكره أبي ..؟!.. ولماذا لا أحبه..؟!.. لكل فعل ردة فعل توازيه في القوة وتعاكسه في الاتجاه والاندفاع ، ولكل شيء سبب ، وإذا عُرف السبب بطل العجب، وسأذكر لكم السبب ...

أبي رجل فظ غليظ القلب ، ليس عنده شفقة، ولا رحمة ، ولا يحبني ، أجل لا يحبني ، ومن أجل ذلك أنا لا أحبه أيضاً ، أنا أبادله كرهاً بكره ، فلا تقولوا لي ، أني بنت عاقة ، لا، لا ، توقفوا لحظة ، توقفوا أرجوكم ، فهوعَقّني قبل أن أعُقّهُ.. فالحكم على الشيء فرع من تصوره ، وأنتم لا تتصوروا كيف هو قاسي ، وظالم أيضاً تصوروا يُفضل أولاده الذكور عليّ ، بل أكثر من ذلك بكثير، كان لا يريدني أن آتي إلى هذه الحياة أصلاً ، .....

كان يريدني ولداً، ولا يريدني بنتاً ، هو قال لي ذلك.. فهو يكره البنات ، وخلفة البنات ، وكثيراً ما كنتُ أسمع منه هذا ، وكان يتعمد إيذائي، وإيلامي، وعدم مراعاة مشاعري المرهفة ، ولا أستطيع أن أصف لكم كم المشاعر السلبية التي زرعها فيَّ تُجاهه، لذا كنتُ أرد عليه كرهاً بكره، ولا أستطيع أن أرد إلا بالكره وعدم الحب، والتمرد عليه ، خاصة عندما كان يطلب مني شيء ما، أي شيء ، كنت أغضبه، وأعصي أوامره، ولا أسمع كلامه، ولا أُنفذ له أي طلب مهما كان هذا الطلب تافهاً ، وبسيطاً ، كإحضار الماء له ليشرب ، أو البحث عن حذاءه ، وتقريبه له ، أو البحث معه عن حافظة نقوده التي كثيراً ما يضعها في مكان ما وينساها ولا يعرف مكانها ، وهاتفه ، وجواربه ، ومناديله ، أو حتى عندما كان يناديني ، كنت أتصنع بأني نائمة،أو منشغلة، ومنهمكة في المذاكرة ، أو حتى بأني لم أسمعه ، حقيقةً أنا أسمعه، ولكني لا أريد أن أردَّ عليه .....

فكم من مرة أسمعه يردد ، جملته المشهورة التي أكاد أحفظها عن ظهر قلب ، والتي أكرهها وأكرهه معها من أجلها ....

ــ يقطع البنات ، وخلفة البنات ، وسنين البنات، أنا عارف لِما لمْ تأتي ولد ..؟!!

أنا رقم اثنين في أبنائه ، أخي يكبرني بأربعة أعوام ، أمي تأخرت في الإنجاب لأسباب خارجة عن إرادتها ، ذهبتْ لأكبر الأطباء في المدينة كلهم أكدوا لها من عملية جراحية حتمية حتى يمكنها أن تحمل وتلد، طبعاً بعدما قاموا معها ، بتجريب كل الأدوية بدايةً ، وفي نفس الوقت لم يعدوها بشيء ، فقط قالوا لها ،

ــ " سنعمل الذي علينا والباقي علي الله ".....

أبي كان يتمنى ، ويريد عشرة من الأولاد كلهم ذكور ، فهو يحب الذكور دون الإناث أبي رجل سادي بامتياز في مجتمع ذكوري بطبعه يكره الإناث وأنا أكره هذا المجتمع العنصري وأكره أيضاً أبي الذي هو واحد منهم ، والذي فكر بأن يتزوج بأخرى غير أمي ، لتنجب له الأولاد ،أمي الطيبة جداً ، جميلة ووديعة ، ومغلوبة علي أمرها ، فهو دائماً يلقي اللوم عليها، في كل شيء ، حتى في عدم الخلفة وكان دائم التشاجر معها بسبب هذا الأمر، ولكم باتت أمي ليالي طوال ، دمعتها علي خدها ، وهي تدعوا الله ليل نهار بأن

يؤاخي لها ابنها الوحيد وحتى لا تفقد زوجها بتنفيذ تهديده لها بالزواج بأخرى عليها حتى جاء موعد العملية ، وذهبت مع أمها العجوز لما تأخرت الدورة كالمعتاد عن ميعادها ذهبت إلي الطبيب الذي قد أعطاها دواءً من أجل أن تنزل دورتها الشهرية ، قبل إجراء العملية.. وكان المطر غزيراً جداً في هذا اليوم ، وعند الطبيب كانت المفاجأة .." أمي حامل ".. كيف حدث ذلك ..؟! الطبيب قال : ــ إنها إرادة الله تعالى وقدرته.. وبأن الطب أحياناً يقف عاجزاً مكتوف الأيدي ، مدهوشاً أمام قدرة الله سبحانه وتعالى " ...

" يا بشرى أمي حامل "..؟!! ...

الطبيب كان في حالة اندهاش أقرب إلي الذهول ، وهو يعيد الكشف المرةً تلو المرة ، بالسونار، ليتأكد من ذلك الحمل ، وهو غير مصدق ما يرى ..!! ....

" يا بشرى أمي حامل بي ، حمل أسبوعين فقط.. " هكذا قال لها الطبيب " .....

بكت أمي من شدة الفرح، نعم بكت ، وفرحت، وجدتي كادت أن تزغرد ، لولا أن أباها كان متوفى، ولم يتم الأربعين بعد ، وتهلل وجه الجميع ، وهما في طريق العودة كانت أمي تحاول استيعاب ما حدث، وترتب في رأسها أفكارها، وتعُد ما ستقوله لأبي وتتصور ردة فعله عندما يعرف بأنها حامل ووَقْع الخبر عليه ....

" يا بشرى أمي حامل ".؟!! .....

ـــ " قطعاً سيفرح، لا، لا، لن يصدق ذلك ، وسيتهمني بأني أكذب عليه حتى لا يتزوج عليّ ، لا ، لا، سأجعله يتأكد بنفسه فليتصل بالطبيب أو ليذهب هو بنفسه إليه ليتأكد منه "

وفجأة على صوتها دون أن تشعر، وهي تُحدث نفسها بصوت مسموع لدرجة ألفتت انتباه المارين في الشارع فلما انتبهت ولاحظت ذلك سكتت وأدارت الحديث بصوت خافت في نفسها وهي تتخيل من جديد ماذا سيحدث ، وتتوقع ماذا سيفعل أبي عندما يعلم الخبر.. وراحت تقول في نفسها : ...

ـــ قطعاً سيفرح فرحاً شديداً ، وربما يرقص طرباً عندما يسمع مني الخبر هو فعلها قبل ذلك في حملي الأول ، أحمدك يا رب ،

وأشكر فضلك ، أخيراً حامل ، لعله يسكت بعد ذلك ويهدأ ويُخرج من رأسه ، فكرة الزواج بأخرى، أو يُنهيها من رأسه تماماً ، ونهائياً .....

وعند مفترق الطرق ، تركتها أمها عند أقرب مكان ، وعادت بعدما ودّعتها ، ونصحتها بأن تحافظ علي نفسها أولاً وعلي الذي في بطنها ، ونصحتها بأن تخف العمل في المنزل حتى يثبت الحمل ، وأمي تهزّ لها رأسها ، إيماءً منها بأنها ستفعل كل ذلك ، ثم طلبت منها ، أن تغيب وتأتي إليها، أو حتى ترسل لها إحدى أخواتها كي يساعدنها في عمل البيت ، وانصرف كلاً منهما في طريقه ، وإلي حال سبيله ، ورفعت أمي رأسها للسماء وقد هدأ المطر قليلاً ، وهي مازالت تحدث نفسها.. كيف تخبر أبي بالخبر ، وهي تسأل نفسها بنفسها ..

ــ هل سيصدق أبي هذا الخبر أم لا ..؟..!!

أبي في نفس اللحظة التي كانت أمي عائدة فيها إلي البيت ، كان في البيت يحادث أحد الأصدقاء عبر الهاتف وعده بأن يبحث له عن عروسة ، مناسبة ، وما أن سمع الخبر من أمي حتى ألقى الهاتف

من يده وأنهى المكالمة مع صديقه وبالفعل كما توقعت أمي ، لم يصدق أبي ، بأن أمي حامل ، حتى اتصل بالطبيب، بل وذهب معها في الإعادة ليتأكد بنفسه من الخبر ، ولما تأكد من ذلك فرح أيما فرح حتى تورد وجهه بل ورقص أيضاً من شدة الفرحة ، ومرت الأيام تلو الأيام ، والأسابيع ، والشهور الأولى للحمل بطيئة جداً علي أبي الذي كان يحسبها باليوم والليلة وبالساعة والثانية وهو في غاية السعادة ، والفرح ، وأمي أيضاً ، لأنها ستحقق له ما يريد وما يحلم به وما يتمناه فالابن الثاني في الطريق واسترجعا مقولة الطبيب حين قال لأبي في الحمل الأول ..

ــ " ولسوف يعطيك ربك فترضى " ..

لدرجة أن أبي كان يساعد أمي في أعمال المنزل ولا يرهقها أو يشقّ عليها في شيء ، حتى جاء اليوم الشؤم الذي تمنيت فيه بأنني لو لم آتي إلي هذه الحياة في ذلك اليوم الذي اكتشف فيه أبي بأني بنت ، ولستُ ولداً كما كان يتمنى ، كاد عقل أبي أن يطير من رأسه ، ويجن جنونه ، ولم يصدق من هول الصدمة ما قاله الطبيب له :

ــ بنوتة حلوة تتربى في عزك إن شاء الله تعالى ..

ـــ .....

نظر إلي أمي التي نظرت إلي الأرض، ولم تستطع أن ترفع عيناها في عينيه ، وصمت الجميع برهة، ثواني معدودة مرت كانت عصيبة عليَّ وأنا أنتظر فرحة أبي بي، أو حتى كلمة شكر لله أو للطبيب الذي يُتابع الحمل مع أمي، ولكن للأسف الشديد لم ينطق بكلمة واحدة وكأنه أصابه الخرس، بل غضب وكاد أن يتشاجر مع الطبيب ، وهو يقول له

ـــ أنت لا تعرف شيئاً ..؟!!!

وذهب إلي أكثر من طبيب ، لعل وعسى واحد غير الأول يؤكد له بأني ولد ولست بنت ، ويكذّب ما قاله الطبيب الأول،

ـــ بنوته حلوة تتربي في عزك

ولما تأكد أبي بأنَّ ما في بطن أمي بنت وليست ولد كما كان يحب ويتمنى انقلب حاله رأساً علي عقب وتحول لدرجة مائة وثمانون درجة ، وتغير مع أمي المسكينة التي لا حول لها ولا قوة ، فبعد أن كان سعيداً ، وفرحاً ، أصبح حزيناً ومهموماً ، وبعد أن كان يساعد أمي في البيت ، تركها دون مساعدة ، وكان طويل الصمت ، قليل

الكلام ، مغتماً ، مهموماً على طول الدوام ، وصار لا يطيق أحداً أمامه ، ولا حتى ذباب وجهه ، وراح يضرب أخماساً في أسداس غير مصدق، وهو يقلب كفيه ، غير مستوعب الحدث ، وعاد لما كان عليه من شجار وخصام مع أمي ، والبحث عن زوجة ثانية غير أمي ، بحجة واهية ، وموروث ثقافي مجتمعي عقيم بالي ، يجب أن يتغير مثل كثير من المفاهيم المنتشرة الخاطئة الذي أكل عليها الدهر وشرب ، فمن غير المعقول في القرن الواحد والعشرين أن يكون هناك مجتمعات، وأناس يفكرون بهذا الفهم العقيم ، الذي يفكر به أبي ، وهذا المنطق السقيم ،.....

" يعني إيه البنت غير الولد ، لا يا سادة البنت أحياناً تكون أفضل من الولد ، بل هي أفضل من الولد بالفعل ، فالبنت هي المجتمع كله، وليس نصفه كما يدعون ، وكما يقولون ، فإن كانت هي نصف المجتمع ، فقد أنجبت النصف الأخر ، فحنانيَّكم بها أيها السادة الذكور ، ورفقاً بالقوارير ، " ....

ــ أريد مؤاخاة الولد ، وأنا ولدي لا يعيش في الدنيا وحداني وأنتِ السبب ..؟

ـ أنا ليس لي ذنب ، ولستُ أنا السبب ..؟!!!

ـ .....

أنا لا أعيب علي أبي في الزواج من أخرى، قطعاً، ولا أكرهه من أجل ذلك، حاشى وكلا ، فهو من حقه شرعاً ، وعقلاً ومنطقاً بأن يتزوج، وأنا لا أعيب عليه ذلك، ولا أكرهه من أجل ذلك إطلاقاً، أنا أعيب عليه وأكرهه فقط من أجل أنه لا يحبني، ويفاضل بيني وبين إخوتي في المعاملة وفي كل شيء، وبأنه كان يتمنى أن أكون ولداً ولست بنت مكسورة الجناح كما يقول ، ....

وعادت أمي للبكاء، والنحيب، والعويل، من جديد، وعاد أبي للتهديد ، فهي لا حول لها ولا قوة ، وكنت كل ليلة أسمع نقارهما ، وعراكهما، وأنا في بطن أمي ، ولكم أن تتخيلوا كم المعاناة التي عاشتها أمي بسببي ، ولكم تمنيت بأن أموت ليرتاح الجميع مني، أو أن أنتحر وأشنق نفسي بالحبل السري فأبي لا يريدني ، وأمي تريد أن تُرضي أبي ، وهي لا حول لها ولا قوة ، لكن حبي لامي جعلني أتشبث بالحياة ، وأتمسك بها وأنا أريد أن أُرضي الاثنين

معاً ، وكانت هي إرادة الله ، اقتضت حكمته بأن أكون بنتاً لا ولداً... حنانيك يا الله ....

ولما جاء أمي المخاض ، وضربها الوجع ، وطَلْقُ الولادة ، أبي تركها تتألم وحدها بل لم يذهب معها إلي المستشفى .. تركها وحدها تعاني الطلق ووجع وألم الولادة

" أنا أحبكِ يا أمي كثيراً جداً، أحبكِ أكثر من أبي ، ليتكِ تعلمي كم أحبكِ وكم أنا سعيدة وفخورة بكِ يا أمي الحبيبة يا حبيبتي يا أمي ، أنا أتمنى من الله بأن أكون بارةً بكِ مدى الحياة ، أما أبي الله يسامحه ، فأنا لا أحبه ، لأنه لا يحبني مثلما تحبيني أنتِ يا أمي، أنا لم أره حينما فتحت عينيَّ على الحياة ، لم يحملني، ولم يحضني، ويضمني لصدره حتى قبلة واحدة لم يقبلني ، ولم يحملني بين يديه، ولم يقبلني مثل ما يقبل أخي، ولم يلعب معي مثلما يلعب مع أخي ، حتى كلمة مبروك لأمي لم يقلها، ولا حتى حمداً لله علي السلامة " فقط جدتي العجوز المسنة، المريضة هي التي كانت مع أمي حين وضعتني في المستشفى، بحجة أنهم لا يدعون الرجال يدخلون علي النساء في عنبر الولادة ، ثم تركهما وانصرف بعدما

ترك لهما ما يحتاجون من المال ، وعاد مع أخي إلي البيت حتى اليوم الذي جاء فيه لزيارتنا في المستشفى، أحضر لهما أبي كل ما يحتاجونه، وكل ما يتطلبه هذا الموقف، ولم يصعد إلي العنبر ليراني، بحجة أن الرجال لا يصعدون إلي العنبر لأن العنبر به نساء كثيرات يلدن مثل أمي وعيب عليه أن يفعل ذلك ، كان يكتفي بالسؤال عني وعن أمي ، وفقط، وكان يجلس في فناء المستشفى ، يشعل في سجائره ، حتى إذا جاء المساء ، انصرف إلي البيت ويتركني أنا وأمي، وجدتي وحدنا ، وكنت أتمنى أن أراه، وأشتاق أن أنام في حضنه ، ويقبلني كأي أبٍ يحمل ابنته بين يديه ويقبلها ، ويرحب بمقدمها للحياة ،.....

ومرت الأيام ، وأمي تقضي فترة النقاهة من النفاس في بيت جدتي إلي أن قررت أمي العودة إلي البيت دون أن يأتي أبي ليأخذنا بنفسه،.....

أذكر أنه لم يأتي إلينا ، ولو مرة واحدة، ليطمئن علينا ، وحينما عُدت مع أمي إلي بيتنا كانت حالته مكتئبة ، ومنظره غريب،

لحيته البيضاء قد طالت ، وثيابه كانت رثة ، وغير لائقة ، ولا ملائمة لقدومي ، ولاستقبال أنثى جميلة مثلي ، .....

ومرت أيام ، وشهور ، وسنوات كثيرة حاولت أن أغير فيها هذا الفهم العقيم لأبي ، وعقليته القديمة ، وأفكاره الموروثة البالية تجاه الأنثى ، ولكن هيهات.. هيهات.. ولكم حاولت أن أُثبت له بأن البنت مثل الولد ، وليست كمالة عدد ، وربما تكون أحياناً ، البنت أحن من الولد ألف مرة ، أفضل ، وبأن ، وبأن ، ولكن هيهات أن يتغير أبي ، ويغيرموروثه القَبَلي ،

في أحْايينٍ كثيرة كنت أرى في عينيه الرضى ، والقبول بي والحب لي أيضاً ، وكان يفرح بي ساعات ، وكنت أشعر بذلك ساعات ، وأسعد له ، وأطرب ، وأحياناً كثيرة أراه يكرهني ، فكنت أكرهه أكثر من كرهه لي ، .....

حتى جاء اليوم الذي عرفت فيه قيمة أبي ، وحبه الشديد لي ، ومكانتي عنده ، وحبي الشديد له، حبي الذي كنت دائما أحاول أن أخفيه عنه ، وعرفت بأن أبي يحبني جداً، وأكثر من نفسه ومن أمي ، ويحبني مثل إخوتي الذكور ، بل أكثر منهم جميعاً وذلك يوم

مرضت مرضاً شديداً، قَلِقَ عليّ أكثر من أمي التي كنت أحبها أكثر منه ، بل بكى عليَّ ، نعم بكي عليَّ ، وأمي لم تبكي ، وهو الذي حملني علي كتفه وجرى بي كالمجنون في الطرقات إلي الطبيب، حتى أنه يومها لم يذُق الزاد، ولم ينم برغم أني كنت أعاني من احتقان بسيط في اللوز وكنت أشعر بدوارٍ ، ورغبة في النوم ، فكنت أشعر به من حين لأخر وهو يأتي إلي غرفة نومي ليطمئن عليَّ وعيناه مليئة بالدموع، حينها لمت نفسي كثيراً ، ووبختها، كيف سمحتْ لي نفسي بأن أكره أبي ، أبي الطيب الحنون ، العطوف ، كيف كنت أكرهه كل هذا الكره ،.....

وتكررت المواقف والأحداث التي جعلتني أحب أبي حباً جماً وأغير فكرتي تجاهه وندمتُ أشد الندم على أني كنت أكرهه في يوم من الأيام ، .....

أبي يحبني يا سادة ، وأنا أحب أبي ، وأنا الذي ظننت بأني يئست من أن أكسب قلبه ، وحبه لي ، ووده ، فكرهته من كل قلبي ..... لا، لا يا سادة ، أنا لم أكره أبي ...

والآن أنا أحب أبي حباً شديداً ، ولا أكرهه مهما حدث ، وأعترف بأني قد كنت مخطئةً في حقه ، وحينما فكرتُ بأن أكره أبي في يوم من الأيام.. فسامحني يا أبي ، وأرجو أن تسامحوني جميعاً لأنكم فهمتموني خطأ ، فالبنت لا تكره أبيها كما أن الأب لا يكره أولاده مهما كانوا.. وإنما كانت وساوس شياطينٍ مرت في رأسي ، والله يسامح الذي كان السبب ...

2018 / 4 / 12

*****

قصة قصيرة..

العيون الزرقاء

خشي أن يتأخر ويفوته اللقاء ، لذا خاف أن يأخذه النوم فظل مستيقظا حتى الصباح ، فهو دائماً يحرص علي مواعيده .. يحب السهر.. والاستيقاظ متأخرا ديدنه ....

في الصباح الباكر، صنع كوباً من الشاي المغلي ،غسل وجه ، لمع حذائه ، كوى قميصه ، ارتدى ثيابه الأنيقة ، عدل من هندامه ، أشعل سيجارته ، جمع أغراضه ، نظر في ساعة الحائط ، برهة من الوقت ، جلس يفكر فيها ، رتب أشيائه في رأسه، وما يجب أن يفعله في هذا اليوم ، تلفت يمنة ويسرى ربما يكون قد نسى شيئاً ما، وعندما تأكد له انه لم ينسى شيئاً مرق كالسهم في نهر الشارع، وفي الطريق، تذكر انه لم ينظر في المرآة.. تمتم في نفسه : ــ " لا بأس "..

صعد إلي المحطة.. وهو يتحسس جيوبه.. خشية أن يكون قد نسى شيئاً أخر.. سأل عن القطار الذي سيقَّله.. جلس علي أقرب أريكة رخامية فوق الرصيف.. أخرج كتاباً من حقيبته ، فهو كثيراً ما يصطحب في حقيبته بعض الكتب عندما يكون في سفر طويل ، وراح يستغرق في القراءة برغم الزحام الذي يملأ الرصيف حضر القطار ، رمى نفسه بداخله ، حشر نفسه وسط الأجسام المتدافعة ، لا يدري كيف من شدة الزحام استطاع أن يجد لنفسه مكاناً ، بالكاد خلف الباب المغلق.. وقف تحاشي الأجسام الضخمة المندفعة التي تخبط فيه كلما مرت بجواره ، والبائعون الجائلون في القطار، يدفعون الناس وهم ينادونا علي سلعهم ...

ـــ " السفر قطعة من العذاب "..

قالها في نفسه ، بصوت منخفض، بالكاد يسمعه من بجواره وهو يتهيأ للجلوس علي أرضية القطار في وضع القرفصاء يبتسم في وجه كل من ينظر إليه.. المكان مزدحم جداً.. لكن الجو كان ربيع.. وممتع أيضاً ...

للحظة شرد بذهنه.. تخيل المكان الذي هو ذاهب إليه.. وتخيله في رأسه.. وأعطي لنفسه إيحاءً بأنه سوف يكون سعيداً جداً هناك.. تذكر أصدقائه الذين سيذهبون معه إلي هناك فهم مدعون مثله إلي المؤتمر..

" هم دائما يتعمدون إقصائه ، يذهبون بمفردهم دوماَ دون ان يأخذوه معهم، أو حتى يخبروه ، وعندما يعودوا ، يتحدثون أمامه عن المكان ، والأشخاص الذين التقوا بهم هناك.. وكيف كانت حفاوة الاستقبال بهم ،وما أتوا به معهم من هناك وكيف.. وكيف.. وهو يستمع إليهم.. ويتمني لو كان معهم.. ولو لمرة واحدة .."..

ها هي الفرصة قد حانت.. سيكون اليوم معهم هناك.. ولأول مرة في حياته.. نداً بند ، ورأساً برأس ، هم اخبروه بذلك.. وطلبوا منه ان يتهيأ للسفر.. ولا يتأخر عن اليوم المحدد.. وبأنه قد وضع أسمه ضمن المشاركين في المؤتمر.. لكنهم أبوا أن يصبحوه معهم.. كلاً منهم تعلل بأعذار واهية.. كنوع من الهرب منه.. لا يهم.. المهم سيكون معهم هناك.. وسيحضر المؤتمر مثلهم ، وسينال نفس

الحفاوة والتقدير ويعود ليتحدث للأصدقاء مثلهم.. وسيتعرف علي الكثير ، والكثير من الشخصيات المهمة هناك ، والمرموقة "

ــ والله بقيت مهم، وتدعي للمؤتمرات.. لا وأيه بدعوى رسميه،هه هه .

عدل هندامه التي حرص ..على أنها تكون جديدة وأنيقة.. نظر إلي شنطة سفرة.. كانت قابعة فوق أحد الرفوف التي أمامه ..

تذكر .." اشتراها من تحت المحطة بالأمس.. خصيصا لهذا الغرض، أعجبه لونها الأسود اللامع.. وكنارها الأزرق الفاقع رآها وهو في طريقة ، لتخليص بعض الأوراق الهامة من اجل سفره هذا "..

تأمل في صمت.. الوجوه التي حوله ، في عربة القطار.. وراح يستغرق في أحلام اليقظة.. وراح يحدث نفسه ..:

ــ " لو تعرفوا مين أنا.. ما كنتم تتركوني أجلس هكذا.. وتتجاهلوني هذا التجاهل البغيض.. غداً سوف تعرفوا من أنا.. ومن أكون.. عندما ترون صورتي وقد غزت الجرائد ، والمجلات ، وتشاهدوني وأنا أتحدث إليكم عبر الشاشات.. وقد استضافتني

كل الفضائيات.. وستأتون إليّ لتسلموا علي ولتتعرفوا بي، بل وتطلبون ان تتصوروا معي أيضاً " ...

سمع خبط شديداً ..علي الباب من الخارج.. التفت بسرعة فإذا بشابٍ معلق بالباب.. يريد أن يدخل.. وباب القطار موصد.. فقام هو وبعض الشباب.. بمحاولة صعبة لفتح الباب أزاحوا كل شيء خلف الباب.. وبالفعل استطاعوا ان يدخلوه.. شكر لهم صنيعهم.. وعاد كلاً إلي ما كان عليه.. أما هو فقد ابتسم في نفسه ، وخجل أن يعود إلي أحلامه مرة أخرى.. شد انتباهه امرأة تجلس علي الكرسي الذي أمامه.. تحمل طفلا صغيرا تنظر إليه من حين لأخر وفي عيونها كلام كثير ، فطفلها يبدوا عليه المرض.. حاول أن يبتعد عن هذا المشهد الدرامي ، المؤلم.. الصادم لمشاعره.. ولا يشده للتعاطف معه فينقلب كل ما بداخله ، إلي حزن واكتئاب.. وحتى لا يتأثر به ،، فهو عاطفي جداً.. وزيادة عن اللزوم.. فمن الممكن تتلبسه حالة شديدة من الحزن علي هذا الطفل.. وهو لا يريد أن يحزن.. وقد يتطور به الأمر بان تزرف دموعه من اللاشعور.. فهو لا يستطيع أن يري أحداً مريضا ولا يتعاطف معه، أو يتأثر به ،

تلك طبيعته ، وهذا ديدنه وحاله فما بالك لو كان طفل صغير، يراه يئن ، ويتأوه من الألم ـ رباه ما أرحمك،

عاد بخياله إلي المكان الذي سوف يذهب إليه والذي يجهله تماما غير انه سمع الكثير عن روعته وجماله حتى بعض الأصدقاء حدثه ذات مرة انه يتمني أن يذهب ، ليعيش في هذه المدينة البعيدة، ويستقر بها، ويعمل فيها،لما لها من خصائص ، ومميزات رائعة ، وجميلة .

ــ " غدا ستعرض علي الجميع مواهبك الفذة.. وتجبر الجميع علي التصفيق الحار لك " ..؟!! .

في تلك المرة.. خرج من خياله.. وشده من تداعياته صوت الكمثري وهو يقول له :

ــ تساكر يا حضارت ؟؟

ـــ .....

القطار ينساب بين الحقول ، والمزارع الخضراء ، يتخطى بلاد ، ويطوي مدن في دقائق معدودة ، فجأة ، شعر بالإعياء والتعب.. والجوع يفتك بأمعائه.. شعر بتنميله شديدة في ساقية أحس بأن

قدماه لا تقوى علي حمله.. قام من مقامه.. فقد تعب من جلسة القرفصاء وقرر أن يقف حتى يذهب التنميل مع الألم المصاحب لركبتيه..

ـــ خشونة في المفاصل

هكذا قال له الطبيب.. حينما اشتكي منذ فترة من رجليه.. فذهب إلي أحد الأطباء الذي وصفه له احد أقاربه .

ـــ عندك خشونة شديدة ، ويلزمك راحة تامة.. وعدم القيام بأي مجهود حتى تخف ...؟!!.

" تبت لك أيها الطبيب.. أي راحة تطلبها مني ..؟!.. وكيف لي أن أستريح ..؟!. ومن أين تأتي الراحة ..؟!.. وكيف أُضيع مثل هذه الفرصة الذهبية من يدي ..؟!... أبداً هذا لن يكون.. فتلك هي فرصتي الوحيدة للظهور.. "

يخرج سيجارة صنع محلي.. يشعلها علي طريقة .." عادل أمام " هذا النجم السينمائي الذي يحبه كثيراً.. ويتمني أن يكون في نجوميته"..

ينظر في ساعة معصمه ليتعرف علي الوقت.. حدث نفسه ،

" لم يزل في الوقت متسع "..

والباعة الجائلين يمرون في ردهة القطار.. ذهاباً ، وإياباً وبرغم الزحام الشديد ، بطريقة عجيبة.. وقد علت أصواتهم تنادي علي ما يبيعونه كلا منهم بطريقته وعلي سلعته ،

يلقي إليه احدهم بكيس ،" لب أسمر ".. فتحه واخذ يتسلى به فمازال في الوقت متسع تشجع غيره، لما رآه قد أخذ كيس من اللب فألقي إليه بكتاب " كيف تتعلم اللغة الانجليزية بدون معلم "وغادره وانصرف ،أمسك بالكتاب قلبه بين يديه وجده نسخة مختلفة عن كل مرة، قرأ فيها بعض الكلمات الجديدة ، أعجبته.. فقرر أن يشتريها ليضيفها إلي مكتبته المتواضعة، أو يعطيها لابنه ، الذي مازال في الابتدائية ، نظر خلف الكتاب كان مكتوبا عليه " الثمن جنيهان " أخذ نفساً من سيجارته عدل من وقفته، والقطار يقترب من إحدي المحطات المزدحمة بالركاب، وطلاب المدارس تملأ الرصيف ، يتهيأ الركاب النازلون في المحطة القادمة ،اقتربوا من الباب.. وكلا منهم ممسكا بأغراضه.. القطار يزمجر وهو داخل علي رصيف المحطة.. يُهدأ من سرعته قليلاً..

بعض الشباب لا ينتظرون حتى يقف القطار ، يقفزون بداخله بحركة سريعة ، وجريئة ، وخطرة في نفس الوقت ، وما أن وقف القطار حتى نزل أُناس كثيرون ،، وصعد أكثر منهم حتى امتلأت العربة بالركاب.. وصارت أشبه بعلبة الكبريت ،أو علبة السلمون، وهو يشاهد بنات المدارس بزيهم الأزرق الجميل، وطلاب الجامعات علي " سنجة عشرة "، شباب في سن الزهور، يملئون الدنيا ضجيجاً ، وصخباً، وحيوية ، وبهجة ...

تذكر يوم كان طالباً جامعياً.. وكان يستقل نفس القطار.. كل يوم وهو ذاهب الي الجامعة .." أبتسم في نفسه وهو يقول :

" كانت أيام جميله حقاً "

أخذ يتابع الطلاب الجامعيين وهم يتهامسون فيما ينهم ، شاب يجلس فتاةً جميلة بجواره وقد حجز لها مقعداً من محطته التي ركب منها ..

تذكر.. " تلك الفتاة التي كان يحبها.. وهو في الجامعة.. وكان يحجز لها بجواره دائماً حتى تجلس لجنبه ولا يضايقها احداً، أحبها حباً

شديداً.. لكن للأسف لم يتزوجها.. لأنها كانت من أسرة غنية ، وهو من أسرة فقيرة.. لا تملك من حطام الدنيا شيئاً " ..

تنهد تنهيدة قوية، وزفر زفرة حامية بها حرقة ، ومرارة السنين.. ولم يُرد ان يسترسل في ذكرياته معها أكثر من ذلك لأ نها ستؤلمه جداً، لكنه طرح علي نفسه سؤالاً صعباً..

ـــ " يا تري فكراني ولا نسياني " ؟!...

يتجه بوجهه خارج القطار من نافذة الباب الصغيرة المهشمة يأخذ نفساً عميقاً من الهواء النقي الذي يخبط في وجهه.. تنهد وهو يتابع جريان الحقول الخضراء مع القطار والفلاحون مبدورون في الأرض الواسعة مثل أشجار السُنط، والنخيل، شده مشهد جميل يصلح ان يكون لوحة رائعة في احدى المعارض الدولية، أو هكذا رآها هو..

" احد الفلاحين جالس.. تحت شجرة سُنط كبيرة.. يستريح وبجواره الفأس.. وامرأة مقبلة عليه بزيها الفلاحي القشيب المطرز ، وعلي رأسها صينية مغطاة.. وبيدها الأخرى تمسك بقلة فخار وهي مقبلة علي الرجل بابتسامه عريضة.. "..

التفت للوراء.. فاجأه.. بائع الكتب.. يسأله عن الساعة.. وهو يأخذ منه ثمن الكتاب.. نظر إلي حقيبته.. ليتأكد أنها لم تزل في مكانها، لاحظ إحدى الطالبات، وقد ثبتت عيناها الزرقاء في وجهه.. يرتبك.. تبتسم.. وهو يحاول أن يتظاهر بأنه متماسك.. يفتح الكتاب الذي في يده.. يدس وجهه فيه، في محاولة يائسة منه للهرب..

تذكر المرأة وطفلها الصغير.. بحث عنهما بعينيه، فلم يجدهما، وتذكر رجليه التي تصل عليه، وتألمه وهو يختلس بعض النظرات من صاحبة العيون الزرقاء تلك التي لاحظها تنظر إليه منذ ركبتْ القطار، وهي لم تفك عيناها من عليه.. وكأنها تعرفه من قبل،أو كأنها تقرأه، أو ربما تريد أن تجرب مدي سحرهما ، وقوة جاذبيتهما.. أو ربما شيئاً أخر..

يقترب القطار من محطة الوصول.. ينزل حقيبته بيده.. وهو ينظر إلي تلك الفتاة التي تتابعه عن كثب.. اقترب من الباب المفتوح، نزل علي الرصيف.. فرد خطاه حتى يلحق بالمؤتمر.. الذي دعي إليه.. ولم يبدأ بعد.. ويخشي أن يتأخر عنه.. لكنه لم ينسى أن

يلقي نظرة علي وجه تلك الفتاة الجميلة، ذات العيون الزرقاء.. النظرة الأخيرة.. لتكون ابتسامتها هي آخر شيء.. يعلق في ذهنه.. وذاكرته وهو يغادر القطار ..

الأحد 26 / 3 / 2017

*****

قصة قصيرة..

التابوت

يرمي بنفسه ــ كالعادة ــ في الشارع كل صباح.. بعدما يكون قد فرغ من ممارسة طقوسه المعتادة، ولا يمكن بحال أن ينفك عنها.. ليبدأ رحلة العذاب.. نفس الطقس اليومي السيئ.. زحام في كل مكان.. مجاري طافحة.. ضجيج العربات، يختلط بأصوات الناس.. وعادم العربات يتطاير في الجو، أكوام من الزبالة ملقاة بعشوائية هنا وهناك.. حفر، ومطبات في نفس الشوارع تقريبا، بعضها صغير، وبعضها صنعت لتركيب إحدى التوصيلات، مضايقات الباعة الجائلين الذين يحتلون الرصيف، وفي إشارات المرور.. نفس الوجوه الكالحة الكئيبة، تقريباً يراها كل يوم، ومساحيق النساء الرخيصة التي تجعل النفس تشمئز منها وتتقزز.. والمصطلحات النابية التي تؤذي مسامعه كل صباح، يسمعها من المراهقين ، وهم يعاكسون الفتيات.. وتحيات الصباح المنبعثة من الأفواه تملأ الأرجاء.. وبائع الفول المدمس ينادي..

وصاحب المقهى المنتفخ علي كرسيه علي ناصية الشارع، واضعاً ساق علي ساق ، ومبسم الشيشة في فمه .." والجا رسون " يُقم أمام المقهى ، وهو يعدل في الكراسي..

ها هو الحاج " محمد " يفتح دكانه.. يكنس، ويرش الماء يسمعه يقول :

ـــ " توكلنا عليك يا رب "..

ـــ .....

يلقي عليه تحية الصباح ، وهو يتفادى احدي الدراجات البخارية " يتحوقل " الرجل يدعوا له بالسلامة.. يستأنف السير مشيا على الأقدام.. يتمتم بصوت منخفض.. لا يسمعه غيره :

ـــ ربنا يسترها علينا ..

صوت من بعيد يردد :

ـــ توب علينا يا رب ..

يُؤمن خلفه، وهو يرفع رأسه للسماء.. ويبتسم في نفسه.. ويواصل في طريقه.. ويردد خلف الصوت ، بصوت مسموع :

ـــ " توب علينا يا رب " .....

يصل إلي عمله الكائن في إحدى البنايات المتهالكة المتصدعة.. يستقبله المدير بوجهه العبوس المقطب، والذي اعتاد كل صباح، أن يغسله بفم ساخن ــ وصلة ردح ــ على الريق.. ويصبحه بموشح في الالتزام.. والانضباط بالمواعيد الرسمية للعمل ، وفي النهاية لا ينسى أن يطلب منه، الفراغ من كومة الدوسيهات التي أمامه

علي المكتب بأقصى سرعة ممكنة حتى تقوم الشركة بإرسالها إلي الجهات المختصة.

((خمسة عشر عاماً مضت ، وهو على هذا الحال ، والمنوال ومنذ أن جيء به إلي هذا المكان حيث المكتب الذي يئن من كثرة ما حمل عليه ولا يكاد يخلو من جبال الدوسيهات إلا نادراً خمسة عشرة عاماً مضت في نفس التابوت.. وفي نفس الدائرة المفرغة.. يدور فيها كالرحى.. دوامة لا تنتهي ..إلا بانتهاء العالم أو خروجه على المعاش)) .....

يقلع الجاكت الرمادي القديم.. ذاك الذي اشتراه من أول راتب قبضه في يده.. لزوم الوجاهة والمنظرة.. يضعه علي شماعة اشتراها

له خصيصا.. يجلس علي كرسيه العتيق.. بعدما يكون قد اخرج نظارته المقعرة ، القارئة.. وقلمه ذو السن الرفيع.. ولم ينسى أن يشعل سيجارة، بعدا أن يضع له العم " سيد " العامل بالمصلحة شاي " الإصطباحة " أمامه علي المكتب ــ والحساب علي النوتة طبعاً ــ بعض الزملاء يتناولونه من حين لأخر بالتعليقات الساخرة.. والضحكات ذات المغزى الخبيث.. فيشترك معهم أحياناً في الحديث ، والضحك.. وأحياناً أخرى يكتفي بالصمت.. وعيناه ما انفكت مغروسة ، ومنغمسة في الأوراق التي أمامه.. يسأله أحدهم عن العلاوة.. والأخر عن الترقية.. فيجيبهم بصوت هادئ ، ونبرات فاترة ، وهو يقلب في أوراق الدوسيه الرمادي الذي أمامه .

ــ " الله أعلم.. ما عندي علم في هذا الأمر.. ولا استطيع أن أفتيكم فيه . !!

يعود إلي البيت بعدما يكون قد مرعلي السوق، وقد اشترى مستلزمات البيت ، ومتطلباته الضرورية، وربما اشترى أيضاً بعض الكتب ، والمجلات التي يجدها في طريقه صدفه عند بائع

الصحف والمجلات والجرائد.. ذاك القابع بجوار ميدان المحطة.. وهو يمر عليه كل يوم في الذهاب والإياب.. وما أن يصل إلي البيت.. حتى يلقي ما في يديه بالثلاجة.. يصعد مهرولاً إلي الطابق العلوي.. يغسل يديه بالماء والصابون جيدا.. فذاك ديدنه.. وتلك عادته التي لا تنفك عنه.. كلما عاد من الخارج تنفيذا لتعليمات وزارة الصحة.. وخوفاً على نفسه من الأمراض المعدية.. خاصةً المنتشرة في الآونة الأخيرة.. وخصوصاً مرض أنفلونزا الطيور المنتشر في العالم، ومؤخراً "كورونا "يصنع كوباً من الشاي الثقيل، ليعدل به أم دماغه التي خربت، وصدعت من كثرة الضجيج و" الدوشه ".. يسترخي قليلاً علي أريكته القديمة.. يشعل السيجارة الأخيرة التي تقبع في جيبه..يمسك بأحد الكتب ، التي اشترها من المعرض الدولي للكتاب.. في العام المنصرم يفر أوراقه.. يقرأ.....

"هي أم لأربعة أطفال أنهكها المرض والتعب.. فلم تعد تفي بمتطلباتها الزوجية، تهرب منه، وتفر كلما طلبها للفراش.. لذا تركت له الطابق الذي يعيش فيه، وسكنت مع الأولاد.. في الطابق الأرضي، واكتفت بشغل البيت.. وإعداد الطعام.. الغسيل

الكنس.. مذاكرة للأولاد.. وبعدما تفرغ من ذلك كله ربما جلست معهم أمام التلفاز لتشاهد أحد الأفلام أو المسلسلات المضحكة ، الذي ربما علا صوتها قليلاً فيوقظه من نومه فزعاً ، متوتراً ، فيصبجامَ غضبهِ عليهم جميعاً.. ويزعق فيهم ، أن أطفئوه أو اخفضوا من صوته المزعج قليلاً " سبعة عشر عاما مضت.. ذلك عمر زواجهما التقليدي.. ولا يشعر كلا منهما تجاه الأخر بأي عاطفة أو إحساس.. ولا يجمع بينهما غير الأولاد ، فقط، القدر هو الذي جمع بينهما.. تحت سقف واحد لكنهم كالغرباء صارحته ذات يوم.. وبعد مرور زمن علي زواجهما.. وبعدما أنجبت له الأولاد.. بأنها كانت مرتبطة عاطفيا مع شاب يسكن في الدرب الذي تسكنه.. ودارت بينهما قصة حب طويلة لكن أسرته الغنية لم تبارك هذه العلاقة ، ورفضت أن تتوج حبهما بالزواج ، ذلك الرباط المقدس ، لأنها من أسرة فقيرة ، علي حد زعمها ، وزوجوه بآخرى غيرها ، مما اضطرها بان تتزوجه ، حتى لا يفوتها القطار ، وحتى تثبت لهم بأنها يمكنها أخذ من هو أفضل منه وكانت تنعته دائماً ، لمن يسألها عنه ، فتقول :

ـــ هو إنسان طيب ، ووسيم، مثقف، منظم في مواعيده، جميل، وعلى خلق موظف حكومي، محترم ، له دخل ثابت يمتلك شقة إيجار جديد.. وبيت ورثة عن أبيه.....

" تلك الميزات جعلتها ترى فيه أنه الشخص المناسب الذي يستطيع أن يعوضها عن هذا الحب الفاشل.. والحرمان العاطفي.. أما هو فقد اقنع نفسه بأن الحب شيء ثانوي وأمر عادي وبأن الحب الحقيقي سوف يأتي بعد الزواج ومع العشرة وبأن المعاملة الحسنة هي الأساس، والزمن وحده كفيل، ينسيها هذا الماضي اللعين من وجهة نظره المتواضعة والذي كان سبب في نفورها منه.. وابتعادها عنه لفترة محدودة.. وبأنه لم يبقى في العمر، بقدر ما مضى منه.. وبأنها سوف تحبه مع الأيام وتعطيه كل اهتمامها مع رعايتها له ، ولأولاده ، والبيت " ....

يتسلل النوم إلي عينية الكليلة، المتعبة ، فينام، ناسيا الشاي والسيجارة التي وضعها أمامه في المطفأة ، قد انطفأت .....

قبل المساء بقليل.. يستيقظ من نومه.. يتناول طعام العشاء مع أسرته الصغيرة. في جو مفعم بالود، والحب، والاحتواء داعبهم

قليلا.. وأغدق عليهم حبه، وأعطاهم ،جلَّ عطفه، وحنانه.. ثم تركهم وانصرف ، لبعض شؤونه في الخارج.. ولم يعود إلي البيت.. إلا بعدما غلب علي ظنه بأنهم خلدوا جميعاً إلي النوم ، أدار المفتاح بالقفل ببطء.. دخل يتسحب علي أصابع قدميه.. مشى ببطء وحذر ، وحتى لا يصطدم في شيء فيستيقظوا ، صعد إلي غرفة نومه.. توضأ، صلي ما فاته من أوقات.. أمسك الرواية التي لم ينتهي من قرأتها بعد وأخذ يقرأ .....

" وتمر الأيام ، تلو الأيام.. وكل واحد منهما في حال سبيله متقوقع علي نفسه.. منزوي عن الأخر.. ومنطوي ، ومنغلق علي نفسه وله حياته الخاصة وخصوصياته التي لا يقتحمها غيره.. نادراً، أراهما.. يلتقيان.. يجلسان.. يتحدثان يثرثران في أشياء تافهة.. وأمور عادية جداً.. غير ذي قيمة تذكر.. وربما يطول بينهما الحديث أحياناً، ويتطرق إلي الكلام عن العمل.. وقد ينحني قليلاً، ويتطرف نحو حياتهما الخاصة.. ولكن سرعان ما ينزوي، ويتلاشى كل هذا.. لأتفه الأسباب.. يتشاجران.. يتخاصمان..

وينعزل كل منهما عن الأخر.. وينفصلان كما كانا من قبل كالغرباء ..".....

يشعر بالتعب.. وعدم القدرة علي مواصلة القراءة يلقي بالكتاب بعيدا عنه وهو يحس بالملل يتسلل داخله ، وصقيع الحرمان يغزوه ، ويملأ أركان الغرفة، وكل شيء حوله ينقلب إلي شتاء قارص.. ويشعر بخريف العمر ، يدب دبيبه في جسده ، ويسري في أوصاله المنهكة.. المتعبة.. بحث عن سجائره فلم يجد.. تذكر انه لم يشتري سجائر هذا اليوم.. تمتم

ــ " تبت لكِ أيتها السجائر اللعينة.. يا ليتنى أقوى علي أن اتركها تلك العادة السيئة التي أخذت من صحتي ، ومالي الكثير.. اللعنة على السجائر وصانعها .." .....

فكر أن يخرج ثانية ، ليشتري سجائر.. نظر في ساعته.. كان الوقت متأخراً جداً.. ولا يسمح له بالخروج.. في ظل قانون الطوارق التي تعيش فيه البلاد.. فجأة ينقطع التيار الكهربائي.. بحث عن شمعة.. يضعها علي التلفاز في طبق نظر في المصباح الموفر الذي اشتراه من شهرين ظنًاً منه بأنه سيوفر الطاقة الكهربائية.. ولا

يقطع النور مرة ثانية.. ابتسم في نفسه واسترخي علي السرير اخذ نفساً عميقاً.. حمد الله على كل أحواله.. واستسلم لنومٍ عميق .....

في الصباح قام من نومه.. مارس طقوسه الروتينية، المعتادة.. والتي لا يمكن بحال ولا يستطيع الانفكاك عنها.. فهي صارت جزءً لا يتجزء من حياته اليومية المعتادة يدخل الحمام بالماء الساخن ، يتوضأ.. يصلي.. يشرب الشاي.. يبحث عن سجائره يتذكر بأنها نفذت منه البارحة ولم يشتري غيرها.. يرتدي لباس الخروج.. بعدما لمع حذاءه.. يبحث عن أشياءه المتواضعة.. يضعها في جيبه.. بعدما يلملمها من فوق المكتب .." حافظة نقوده ، مسبحته ، كتلة المفاتيح ، جواله ، السجائرــ ليست موجودة في هذا الصباح ــ يكتفي بالولاعة.. وقد أضمر في نفسه عند أول "سوبر ماركة " يقابله سيشتري علبة كاملة "بعشر جنيهات " لقط قلمه المفضل، غرسه في جيبه هو الأخر مع الرواية التي لم ينتهي من قرأتها بعد.. ممنياً نفسه بتخليصها، وبإيجاد وقت لقراءتها في المواصلات ، فمشواره من بيته إلي مقر عمله يستغرق أكثر من نصف ساعة في الأتوبيس أو بعد ما يفرغ من عمله، كاد أن ينسي نظارته في أخر

لحظة قبل الخروج من البيت.. فذاكرته لم تقوى علي التذكر في هذه الأيام.. عاد فالتقطها واسرع بالخروج، ولم ينسى وهو خارج من البيت بأن يصبّح علي أولاده، وزوجته التي قد أعدت له الفطور ،علي عجلٍ التقم قطعة من الخبز مع قرص من الطعمية ، وقليل من الفول المدمس، أعطى زوجته ما تحتاج من نقود، ولأولاده أيضاً ، وقبل أن يرمي بنفسه في نهر الشارع.. كالعادة كل صباح لم ينسى أن يضع قبلة علي جبين زوجته.. ليبدأ رحلة العذاب من جديد .....

نفس الطقس اليومي ، السيئ.. زحام في كل مكان.. مجاري طافحة.. ضجيج العربات يختلط مع أصوات الناس، وعادم العربات يملأ الجو.. أكوام من الزبالة ملقاة بعشوائية هنا وهناك حفر ومطبات في نفس الشوارع تقريبا.. مضايقات الباعة الجائلين علي الرصيف.. وفي إشارات المرور.. ونفس الوجوه الكالحة الكئيبة.. ومساحيق النساء الرخيصة التي تجعل النفس تشمئز منها وتتقزز.. والمصطلحات النابية التي تؤذي مسامعه ،كل صباح من المراهقين ،وهم يعاكسون الفتيات " وتحيات الصباح المنبعثة من

هنا وهناك " وصاحب المقهى المنتفخ علي كرسيه علي ناصية الشارع جالساً.. واضعاً ساق علي ساق.. ومبسم الشيشة في فمه ... و.....

.....

.....

تمت بتاريخ ٢٤ / ٥ / ٢٠١٥

****

الكاتب في سطور

* الاسم : علي السيد محمد حزين - واسم الشهرة (علي حزين)
* تاريخ الميلاد / 8 / 8 / 1967 - * كاتب.. وقاص.. وروائي.. وشاعر
* المؤهل: ليسانس أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط
*شعبة (الحديث وعلومه).
* يعمل / إمام وخطيب بالأوقاف المصرية
* العنوان / ساحل طهطا / سوهاج
* عضو عامل في نادي أدب طهطا
* عضو مركزي / محاضر مركزي سوهاج ..
* عضو عامل لشعراء العامية المصرية .
* دعي للعديد من المؤتمرات الأدبية .
* شارك في ندوات المجلس الأعلى للثقافة
* منها " المؤتمر الأدبي الخامس عشر لإقليم وسط الصعيد الثقافي،بالوادي الجديد "الخطاب الثقافي وسط الصعيد (الواقع والمستقبل) 3/ 3/ 2015
* مؤتمر أدباء إقليم وسط الصعيد الثقافي بسوهاج لعام ــ 2016 " المؤسسات الثقافية والحراك المجتمعي "
* ومهرجان القصة القصيرة الأول بسوهاج 26 / 11 / 2017 / أجيال.. وإبداع دورة القاص القدير الأستاذ / محمد عبد المطلب

* مؤتمر نادي القصة السادس بأسيوط "القهر والاستبداد في سرديات كتاب الصعيد" دورة الأديب الراحل " محمود البدري ـ 7 / 12 / 2017

*مؤتمر اليوم الواحد بمحافظة سوهاج .." تجليات الإبداع الجديد في سوهاج" 3 / ابريل / 2019 ...

* نشرت أعماله في العديد من الدوريات والجرائد والمجلات الأدبية المصرية على سبيل المثال جريدة "الجمهورية- والأهرام، والأهرام المسائي وروزليوسف ــ واليوم السابع ــ وجريدة المساء ـ وأخبار اليوم ــ مجلة الحوار ــ ومجلة أقلام " وغير ذلك

* شارك في كثير من ندوات المجلس الأعلى للثقافة

* كرم بشهادة من " مؤسسة أسرار الأسبوع " في إحدى جولاتها الرائعة في قصر ثقافة سوهاج مساء يوم الأربعاء 8/ 2/ 2017.. والتي يرئس مجلس إدارتها الشاعر الكبير// محمد سليم الديب

* تناولت بعض أعماله ضمن " رسالة ماجستير " للقصة القصيرة في سوهاج للأستاذ الباحث// السيد محمد علي// ابن سوهاج وقد أشرف على رسالته الأستاذ الدكتور // محمد عبد الحكيم // " جامعة أسيوط ــ كلية الآداب ــ قسم اللغة العربية ــ الدرسات العليا "

*نشر عمل له ضمن كتاب الجمهورية " 5 قصة قصيرة " في يونيه عام 2000

* نشرت أعماله بالصفحات والمجلات والمواقع الأدبية التي تتصل بعالم الفضاء الإلكتروني ــ مثل موقع فيتو، والمنار الدولية، وأنطولجيا ، ومجلة

لمجلة ، والمجلة الجزائرية الثقافية، وصدى الفصول، ومجلة المصباح دروب أدبية، وغير ذلك الكثير،

* له ثلاث مجموعات قصصية مطبوعة ــ

1 ــ " دخان الشتاء"من الهيئة العامة لقصور الثقافة عام 1999م..

*2 ــ " وحفيف السنابل " عن فجر اليوم للطباعة والنشر عام 2004 م

* 3ــ " أشياء دائماُ تحدث "عن فجر اليوم للطباعة والنشر عام 2004 م

* وفاز بالمركز الأول مرتين على التوالي في مسابقات أدبية لنادي أدب طهطا.. ما بين عام / 1997 إلى عام 2000 م

* وله تحت الطبع ـ ثلاثة مجموعات قصصية"مقام سدنا اللولي ".. " والمجنون ".. انثى العنكبوت "

* تحت الطبع ــ روايتان 1 ــ " اجازة " ... 2 ــ " إيراد "

* تحت الطبع ــ ديوان "ولسه بحلم" عامي " تغريدات صغيرة " فصحى

* أربع دواوين شعر فصحى " نزيف القمر ".. وعندما يبكي القمر ".. " فصل من كتاب الموتي ".. " زهرة النار "

* للمراسلة ــ ساحل طهطا ـ حارة العبد ــ سوهاج

* البريد الإلكتروني :

alielsaeed472@yahoo.com

تليفون محمول/ 01018763675

وتليفون أرضي 4761104 مفتاح 093 ــ 093476110 " منزل

محتويات الكتاب

إهداء.....5
ذات مساء.....6
قناع.....6
امرأة ما 7
حدث معي.....8
المهرج.....9
إغراء.....10
رغبةٌ جامحة.....11
اللقاء الأخير.....12
المرآة.....13
حب أعرج.....14
ثلاثون عاماً خلت.....15
هـوى.....18
غجرية.....19
مربع حوار الفيس.....20
عسب الليل يورق أحزاناً 21

بزينتها.....23
في هزيع الليل.....27
شرنقتان صغيرتان.....29
حوار طويل جداً.....30
أحــلام.....31
روائح القّل.....33
من سفر الحكاوي.....35
عالم آخر.....37
قشعريرة.....38
محاولة فاشلة.....39
على النوتة.....40
جار سوء.....41
النافذة.....42
غرفة رقم (5).....44
مجادلة.....46
مزهرية.....47
مدينتي.....50
ورقة من سفر الحياة.....51
شيزوفرنيا ... .55

مناوشة.....59
لُؤْلُؤَة.....61
اعترافات أنثى بريئة.....67
العيون الزرقاء.....82
التابوت.....94
الكاتب في سطور.....106
محتويات الكتاب.....109

____**____تم بحمد اللّه____****____**

اعترافات أنثى بريئة

مجموعة قصصية

علي حـــزيـــن

الطبعة الأولى

1442 هـ 2021 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com